وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرحلة الحجازية خلال القرن 19 م

من خلال رحلات مغاربة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطلبة:
فاطمة الزهراء فارسي
فايزة دقموسي
لخضر سياح

إشراف الأستاذ
بوقرين عيسى

السنة الجامعية 2016-2017

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى رمز الثبات و التضحية والعطاء إلى والدي الكريم.

وإلى الشمعة التي تنير دربي وشجعتني وجاهدت لأجلي والدتي الحنونة.

وإلى رفيقات الدرب ذهيبة ،أمينة،سلمى،نجاة،كريمة.

وإهداء خاص إلى زميليا اللذان قاسماني عناء البحث:لخضر"و "فاطمة".

إلى كل من عرفته في مشواري الدراسي من الطور الابتدائي إلى الجامعي.

إلى كل من علمني حرفا وإلى كل أستاذ ينير درب الأجيال.

إلى كل طلبة كلية العلوم الإنسانية وخاصة قسم التاريخ ماستر دفعة 2017/2016

وإلى كل من حمله قلبي ولم يكتبه قلمي.

فايزة

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

يسرني أن أهدي هذا العمل المتواضع إلى من سهرت الليالي من أجلي وقدمت لي الدعم والعون منذ عرفت الحياة نبع الحنان والعطف

أمي العزيزة الغالية.

إلى الذي مهما قلت ومهما فعلت لن أوفيه حقه.

إلى الذي سهر على تربيتي وتعليمي بكل ما يملك من قوة بدنية وعاطفية فغرس في الأخلاق والمبادئ النبيلة وحثني على طلب العلم والمعرفة

أبي الغالي.

إلى جدايا وجدتاي أطال الله في أعمارهم.

إلى كل عائلتي

إلى زملائي و أصدقائي:بوحملة،عادل،عمر.

إلى كل أستاذ من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

إلى كل طلاب العلم عامة وطلاب جامعة عمار ثليجي خاصة وقسم التاريخ دفعة 2017.

لخضر

إهداء

الحمد لله نحمده على إتمام هذا العمل و الصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الصادق الأمين.

أولا وقبل كل شيء أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى أعز ما في الوجود والدي الحبيبين.

إلى من تحت قدميها الجنة التي اجتازت صعاب الحياة للوصول إلى ما أنا فيه أمي الوفية.

إلى نور دربي الذي لم يبخل علي بإرشاداته في أمور ديني ودنياي والدي الكريم.

إلى الابن البار لوالديه وسندي وقدوتي ومثلي الأعلى أبي الثاني أخي العزيز طارق وزوجته أسماء وأولادهما.

إلى رمز التفاؤل والجود والكرم أخي الحبيب عبد القادر.

إلى من ساندني ومدني بالطاقة أختي عائشة وزوجها محمد وأولادهما.

إلى أختي الغالية خيرة و زوجها وأولادهما.

إلى الطموحة و المثابرة أختي مريم و أرجو من الله أن يوفقها في حياتها.

إلى النصوحة والمتفهمة أختي أمينة متمنية لها النجاح في مشوارها الدراسي.

إلى القلوب البريئة جلول،أمال.

إلى روح جدايا وجدتاي و روح عمي رحمة الله عليهم.

إلى كل أعمامي وعماتي و أولادهم وكل أخوالي وخالاتي وأولادهم وكل أفرد العائلة.

إلى كل من رافقني في عملي هذا لخضر،و فايزة.

إلى كل رفيقاتي في مشواري الدراسي.

إلى كل من وسعهم قلبي ونسيهم قلمي.

فاطمة

تشكر وعرفان

مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: {{مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُر اللهَ}}

الشكر لله الواحد الأحد الذي وفقنا في أنهاء هذا العمل .

ونتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل :"عيسى بوقرين"الذي تتبع خطوات سير هذا العمل والذي أفادنا ومنحنا

من وقته وجهده الكثير والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

كما نشكر الأستاذ:"بومدين كعبوش"على ما قدمه لنا من مساعدة.

ونتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان للذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ومهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الكرام.

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى كل من قدم لنا يد العون.

وإلى التي ساهمت في إخراج هذا البحث إلى النور الأخت ذهيبة .

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ط	طبعة
مج	مجلد

مقدمة

للرحلة جذور عريقة منذ قدم الأزمان ولها دور كبير في التعارف بين الشعوب وإبراز حياتهم بشتى المجالات،وللرحلة دوافع وأهداف تختلف بحسب الوجهة المقصودة والرحالة في حد ذاته.

وتعد الرحلة الحجازية رحلة بارزة وجَلِية عند المسلمين عامة والمغاربة على وجه الخصوص لأنّ هدفها الأول والأساسي هو دافع ديني ألا وهو أداء فريضة الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وبعدها تأتي الأهداف الأخرى ومنها الهدف العلمي والهدف الاقتصادي.

وقد برزت الرحلة الحجازية في المغرب في القرن التاسع عشر لأنّ الرحالة كانوا يدونون رحلاتهم ويذكرون كل ما صادفوه ورأوه في طريقهم.

1-دوافع اختيار الموضوع:

يرجع السبب لاختيارنا لهذا الموضوع إلى:

-كثرة التطرق إلى الرحلة الحجازية المغربية في القرن التاسع عشر ميلادي.

-وكذلك إلى أثر هذه الرحلات في معرفة الطرق والأماكن لمن جاؤا بعدهم.

2-الهدف من الدراسة:

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو إبراز مكانة الرحلة الحجازية المغربية وذكر بعض النماذج البارزة لرحلاتهم لمعرفة الصعوبات التي واجهتهم و تذليلها والإنجازات التي حققوها من خلال رحلاتهم.

3-الإطار الزماني والمكاني:

اخترنا كإطار زماني القرن 19 لموضوع دراستنا الفترة التي كثرت فيها الكتابة والتدوين للرحلات من طرف الرحالة أنفسهم.

أما الإطار المكاني فيتمثل في المغرب الأقصى لكثرة الرحالة الذين رحلوا إلى الحجاز بهدف أداء فريضة الحج.

4-الإشكالية المطروحة:

اخترنا كإشكالية لموضوعنا:ماهي الإستفادة من الرحلة الحجازية المغربية وما هي قيمتها؟

ومنها نطرح الإشكاليات الجزئية:

- ماهية الرحلة؟
- ماهي الرحلة الحجازية وما مدى أهميتها في حياة المسلمين؟
- ما هي الأسباب والدوافع الرئيسية للرحلة الحجازية المغربية إبان 19م؟
- وإلى أي مدى عكست نصوص رحلات مغاربة صورة المشرق؟

5-الخطة المعتمدة:

لقد قمنا بتقسيم بحثنا إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

الفصل الأول:خصصناه لمفهوم الرحلة وتطورها عند العرب عبر التاريخ وأهم أنواعها، وأدب الرحلات.

الفصل الثاني: تطرقنا لمفهوم الرحلة الحجازية والتعريف بمنطقة الحجاز،من الجانبين اللغوي والاصطلاحي، وأهمية موقعها، ثم تحدثنا عن قيمة الرحلة الحجازية،و يليه طرق الرحلة الحجازية المغربية،ثم تطرقنا إلى الأسباب والدوافع الرئيسية للرحلة الحجازية المغربية في القرن التاسع عشر ميلادي.

الفصل الثالث:تناولنا فيه نماذج من الرحلات الحجازية المغاربة خلال القرن الثالث عشر ميلادي التاسع عشر ميلادي،من خلال التعرض إلى رحلة محمد الغيغائي ورحلة إدريس بن عبد العلوي ،ورحلة أحمد السبعي،ورحلة محمد التامراوي.

وفي الأخير خاتمة وقد عددنا فيها أهم النتائج التي خلصنا إليها في بحثنا.

6-المنهج المتّبع:

تطلبت دراستنا إلى المنهج التاريخي الوصفي حيث وصفنا الرحلة وطرقها والأماكن التي مر بها الرحالة،كما وظفنا المنهج التحليلي في ذكر تاريخ الرحلة وتحليل الأحداث التي وقعت في الرحلة وذكر الدوافع والأهداف .

7-الدراسات السابقة:

.من خلال بحثنا وقراءتنا لم نعثر على دارسة كاملة بكل جزئياتها للرحلات المغاربة،في الفترة الحديثة والمعاصرة،ولهذا يمكن القول أن موضوع دراستنا هو موضوع بكر،وإن وجدت فهي قليلة نذكر :منها الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر ميلادي لصدوق الحاج ،وهي مذكرة ماجستير،والتفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية لليلي غويني،وهي مذكرة ماجستير، من هنا جاءتنا فكرة البحث والتوسع في هذه الجزئية باقتراح من طرف الأستاذ ومساعدته جزاه الله خير.

8- نقد أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تنوعت في مواضيعها واختلفت في مناهج تأليفها، وتباينت في أهمية المادة التي حملتها قياسا بموضوعنا، فمن المصادر التي خدمت موضوعنا بشكل مباشر نذكر:

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن ثغري بردي، والذي وضح لنا الأسباب التي جعلت الرحالة العرب عامة والمغاربة بصفة خاصة يستقرون في الحجاز بعد أدائهم فريضة الحج.

- المعسول،لمختار محمد السوسي، والذي أفادنا بالتفاصيل الكاملة لرحلة محمد بن محمد التامرواي حيث يذكر فيها تاريخ خروجه من المغرب الأقصى لأداء فريضة الحج،وتاريخ وصوله إلى الحجاز،كما قدم لنا وصفا دقيقا عن المسالك والأمصار التي مرابها.

أما فيما يخص المراجع نذكر:

– كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ،دارسة في البنية والنشأة والتطور لسميرة أنساعد،وهو كتاب يحتوي على معلومات دقيقة عن الرحلة.

وكتاب المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر ميلادي الثامن عشر ميلادي لمحمد علي فهيم بيومي ،وكتاب رحلة الرحلات مكة في مئة رحلة ورحلة مغربية لعبد الهادي التازي، والذي أفادنا في التعرف على أهم رحلات المغاربة،وكتاب من حديث الركب الحاج المغربي لمحمد المنوني،وهو عبارة عن بحث تاريخي لركب الحاج المغربي في ماضيه وحاضره.

من المقالات المنشورة في دوريات ومجلات تاريخية متخصصة منها:

– أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة مقال منشورة في مجلة دعوة الحق، الصادرة بالمملكة العربية المغربية.

– من ملامح الرحلة المغربية مقال لفاطمة خليل منشورة في مجلة البحث العلمي الصادرة بالمملكة المغربية.

– كما وضفنا في موضوعنا هذا بعض المعاجم لتحديد المعالم الجغرافية والتعريف بالأمصار.

9-الصعوبات التي واجهتنا

من أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا قلة المصادر والمراجع التي تتناول هذا الموضوع في مكتباتنا،غير أن قلة الرحلات الحجازية المكتوبة في الفترة المدروسة جعلت البحث ينحصر في حدود الرحلات المتوفرة،إما لفقدانها،وإما لأنهم لم يدونها،أما الصعوبة الثانية،فكانت في فهم أسلوب العصر،حيث اتسمت فترة القرن التاسع عشر بصيغة الأسلوب النثري،وهو طابع تقل فيه المعلومات التاريخية لاهتمام صاحبه بالجانب الأدبي،وهو ماصعب علينا استخراج المادة التاريخية.

الفصل الأول الرحلة ما بين توصيف المفهوم وتطور التاريخ

المبحث الأول مفهوم الرحلة

المبحث الثاني لمحة تاريخية عن الرحلة عند العرب

المبحث الثالث انواع الرحلات

المبحث الرابع أدب الرحلات

عرف الإنسان الرحلة منذ ولادته،وكان في ارتحال دائم حسب الظروف ومتطلبات الحياة والتشغيل الاجتماعي،واتسعت الرحلات على مر الزمان فكان للعرب قبل مجيء الإسلام رحلتا الشتاء والصيف،أما بعد الإسلام فقد انفتح الرحالة على العالم برحلاتهم وتنقلاتهم وفتوحاتهم حتى أصبحت الرحلة مظهرا من مظاهر الحركة العلمية والثقافية في مختلف عصور التاريخ الإسلامي،إلا أنّ الرحلة اختلفت من شخص لآخر،ومن عهد لعهد،ومن قوم لقوم من حيث الغاية.ومنهم من ارتحل بهدف طلب العلم،ومنهم لأداء فريضة الحج،وآخرين ارتحلوا بهدف التجارة والسفارة،وكذلك حب الاستطلاع والاكتشاف

المبحث الأول:مفهوم الرحلة

1- مفهوم الرحلة لغة:

الرحلة في اللغة التّرحيل والارتحال، بمعنى الأشخاص والإزعاج، ويقال:رحل الرجل إذا سار، فالرحلة تعني السير والضرب في الأرض، وكان لفظ "رحلة" يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أُخذ لفظ رحّال، وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر.[1]

ويرتبط مفهوم الرحلة في الأصل اللغوي العربي بركوب الإبل أو الجياد و نحوهما فالرحلة من الإبل البعير القوي عن الأسفار والأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله.[2]

ويضيف ابن منظور:"ارتحل البعير رحلة سار ومضى القوم عن المكان:انتقلوا كَتَرحلُوا والاسم الرِّحلة و الرُّحلة بالضم والكسر أو بالكسر:والارتحال بالضم الوجه الذي تعهده، والسفرة الواحدة[3]، ورحل عن المكان يرحل فهو راحل ويستشف من كلام ابن منظور أنّ الرحلة كانت للبعير،ثم توسع مفهومها ليشمل الإنسان وغيره."[4]

---

[1]-عوطف محمد يوسف نواب،**الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين"7/8هـ"**، الرياض، 1996م، ص40.

[2]-محمد ابن منظور، **لسان العرب**، مج11، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1338هـ /1968م،ص277.

[3]- محمد ابن منظور ، المصدر السابق،ص278.

[4]-محمد بن سعود الحمد، **موسوعة الرحلات**، ط1، دائرة المعارف، القاهرة، 2007م، ص10.

وبهذه المعاني أشار القرآن الكريم إلى لفظة "**رَحْلِ**"بمعنى البعير في قوله تعالى:**{{فَلَمَا جَهَزَهُم بِجِهَازِهُم جَعَلَ السِقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّن مُؤَذِنٌ أَيَتُهَا العِيرُ إِنَّكُم لَسَارِقُون}}**يوسف/10.

تنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال في القرآن الكريم وكان منها:الظغن والإسراء، والسفرة، والهجرة، والحج، والسير،فمثلا وردت لفظة"الظغن"مرة واحدة في قوله تعالى: **{{واللَهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُم سَكَنًا وجَعَلَ لَكُم مِنْ جُلُدِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَومَ ظَغْنِكُم ويَومَ إِقَامَتِكُم ومِنْ أَصْوَافِهَا وأَوْبَارِهَا وأَشْعَارِهَا أَثَاثًا ومَتَاعًا إِلَى حِيْنٍ}}**النحل/70.ولفظتي "أسري وإسراء" في موضعين من سورة الأنفال،وموضع واحد في سورة الإسراء.[1]

كما تكرر ورود لفظة "الحج"خمس وعشرين مرة مثلا في سورة الحج، كما استعمل لفظ "سفر"اثنتي عشر مرة في سورة "سبأ"، أما الهجرة وردت سبعة وعشرين مرة، ذكرت في العديد من السور، أما بالنسبة للسير فجاء في سورة الحج.[2]

ولفهم ومعرفة مصطلح الرحلة لابد من العودة إلى الرحلات الثابتة لدينا،والذي يعتبر منبعها من أوثق وأصدق المصادر،ألا وهو القرآن الكريم،بالرغم من أنه ذكر فيه العديد من الأمثلة لكل نوع منها إلا أنه تم ورود لفظ "رحلة" فيه مرة واحدة وهذا في سورة قريش[3]لقوله تعالى:**{{إِلَا فِ قُرَيشٍ إِلَا فِيهُم رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ الذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُم مِنْ خَوفٍ}}**قريش/1-4.

---

[1]-سميرة أنساعد، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**،دراسة في النشأة والتطور والبنية،دار الهدى،عين ميلة-الجزائر،2009م،ص17.

[2]-نفسه ، ص 18-19.

[3]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص29.

2-مفهوم الرحلة اصطلاحا:

لا يختلف كثيرا مفهوم الرحلة اصطلاحا عن مفهومها لغة إذ يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الارتحال وهي الحركة.[1]

إذا فالرحلة هي انتقال من مكان إلى آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من المغاربة وغيرهم من البشر قديما قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى، لأنّ الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر، إلا أنّه ليس كل من ارتحل دون رحلته[2].

فالرحلة كذلك هي أيضا أحد أنواع الأسفار التي تعلّق بها الإنسان، ولذلك قيل ولد الإنسان "رحّالا".وهذا القول ينطبق أكثر على المسلمين، لأتساع مملكتهم ولتعطفهم للمعرفة والإطلاع وحب الاغتراب وأداء فريضة الحج.[3]غير أننا نلمس من خلال أقوال بعض الأعلام الإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة،مثلما نجده في قول الرحالة أبي الحسن علي المسعودي:"ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه،وإثارة كل نفيس من مكمنه."[4]

ويرى الشيخ"حسن العطار"في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا،ومحكا أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته،فيقول:"السفرة مرآة الأعاجيب وقسطاس التجارب."[5]

ويذكر محمد الفاسي"أساس فن الرحلة هو الشخص المؤلف وآنيته،ووصف ما يتعرض له في سفره،وذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناطق التي يمر بها،مع إطلاعنا أحوال البلاد التي يزورها،وعلى عوائد أهلها و أخلاقها و أفكارهم،وكل مسائله"[6]، وبتعبير آخر

---

[1]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص19.

[2]- ناصر عبد الرزق الموافي، **أدب الرحلات عند العرب، الرحلة في الأدب العربي في نهاية القرن الرابع هـ**، ط1 دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، 1995م، ص25.

[3]-مولاي بلحميسي،**الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني**،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص9.

[4]أبو الحسن علي المسعودي،**مروج الذهب ومعادن الجوهر**،تح،محمد اللخام، ج1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص20.

[5]-حسين محمود فهيم، **أدب الرحلات**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1989م،ص19.

[6]- محمد بن عثمان المكناسي،**الإكسير في فكاك الأسير**،تح:محمد الفاسي،المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،1995م،ص1.

وأشمل،كتابات لرحالة مسلمين وغيرهم التي تصف البلاد والأقوام،والتي يذكرون فيها أيضا أحداث تجولهم،ودوافع رحلاتهم،وما قد يصاب ذلك بلورة الانطباعات الشخصية،أو إصدار أحكام تقويمية،لما شاهدوه وسمعوه.[1]

والرحلة وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان،وتوسيع لخبرات الرحالة ومعارفه وفي هذا المضمون يقول حسن محمود حسين عن الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون:"إنّ السفرة تعليم للصغير ،وخبرة للكبير."[2]

المبحث الثاني:لمحة تاريخية عن الرحلة عند العرب

عرف الإنسان الرحلة أو الترحال والتنقل بفطرته التي جُبِلَ عليها منذ بدأ الخليقة فأول رحلة قام بها الإنسان هي رحلته من بساتين الجنة إلى سطح الأرض،وإليه أشار في قوله تعالى:{{إِهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيْعًا}}البقرة

عرف العرب قبل الإسلام رحلات تجارية متعددة إلى بلاد العراق والشام واليمن وغيرها وداخل الجزيرة العربية.[3] ومع أنّ هذه الرحلات لم تُذكر بشكل مفصل إلا ما ورد في قصائد الشعر وكتب اللغة و الأخبار،إلا أنها أفادت المسلمين في الفتوحات الإسلامية، وأظهرت روح التراث العربي الذي كان يشجع على الترحال والاستكشاف.[4]

أما من الناحية التاريخية يمكن القول أن الفتوحات الإسلامية كانت بمثابة البداية الفعلية لهذا الأدب،حيث قدمت للعرب المسلمين تجارب ومعارف جغرافية وبشرية جديدة،لا سيما وأنّ الدولة الإسلامية عرفت توسعا كبيرا مشرقا ومغربا،وهو ما استوجب معرفة شؤون البلاد والعباد والتحكم في الحدود فكان متولو البريد رحالة يقدمون تقريرا عن المسالك

[1]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص20.

[2]-حسين محمود فهيم، المرجع السابق، ص19.

[3]-حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان ، 1983م،ص10.

[4]-محمد بن سعود الحمد، المرجع السابق، ص7.

والطرق وأحوال المسلمين في إطار الرحلات التكليفية[1]،وأحسن مثال على ذلك ما ألفه ابن خرداذبه (ت272هـ/685م) في كتابه"المسالك والممالك"فتنوعت بذلك عوامل الرحلة[2].

وهناك عوامل أخرى تعود إلى جوهر الدين، جعلت الرحلة تعرف تطورا هاما في هذه الفترة، وقد شجعت الدعوة الإسلامية على الرحلة ودفعت المسلم إلى السفر لأغراض عدة أهمها:

1-تبليغ الدعوة الإسلامية أو الرسالة المحمدية والسعي في الأرض من أجل الرزق[3]. فيقول عز وجل:{{هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُم الأرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُشُور}}الملك/15.

وقوله أيضا:{{قُلْ سِيْرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ أُنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِبِيْنَ}}الأنعام/11.

2-حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا،وهو من أهم دوافع الرحلة،وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة[4] استجابة لقوله تعالى:{{وَأَذِنْ فِي النَّاسِ بالحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ مِنْ كُلِ فَجٍ عَمِيْقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَهِ فِي أَيَامٍ مَعْلُومَات}}الحج/27-28.

3-طلب العلم وكان الدافع الديني أساسي في هجرة العلماء لطلب العلم،فالتراث الإسلامي غني بما يحفز الناس للسعي في الأرض وطلب العلم[5] منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:**{{مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ العِلْمِ إِلَا وَضَعَتْ لَهُ المَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِما يَصْنَعُ}}**الحديث رواه ابن ماجه في سننه.

---

[1]- لعبت الرحلات التكليفية دورا هاما في إعطاء المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام،وإنّ هذا النوع من الرحلات كان قديما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،إلى أن كُتِب الأدب والتاريخ لم تحتفظ سوى ببعض الأخبار عنه.انظر:فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي،مكتبة الدار العربية،القاهرة،2002م،ص 34-35.

[2]-ليلى غويني،**التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،الجزائر،2012/2010م،ص12.

[3]-أحمد رمضان أحمد،**الرحلة والرحالة المسلمون**،دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع،جدة،(دت،)ص14.

[4]-عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي،**الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**،مكتبة دار العربية للكتاب،القاهرة 1996م،ص26.

[5]-أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص15.

أما التأليف عن الرحلة فقد بدأ عند المسلمين الأوائل منذ القرن(الثالث هجري، التاسع ميلادي).ولكنهم لم يدونوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادرا،أما معظمهم فقد أدمج حديث وأخبار تلك الرحلات[1]،فيما أسهموا بما سجلوه عن قصد أو غير قصد في توفير معارف جغرافية وتاريخية واجتماعية وثقافية عظيمة القيمة،وأنّه من الصعب وضع قائمة لكل الرحلات عبر عصورها في هذا المجال،وسنحاول سرد ملامح من هذه الرحلات العربية للرواد من الرحالين التي احتفظ لنا بها التاريخ على مر العصور.[2]

برزت خلال القرن الرابع هجري(العاشر ميلادي) أشهر كتابات الجغرافيا والرحلات وتميزت بالنضج التام والتخصص في علم الجغرافيا والتاريخ، ومن أشهر روادها:

المسعودي[3](ت346هـ/957م)صاحب كتاب"مروج الذهب ومعادن الجوهر".

المقدسي[4] (ت380هـ/990م)صاحب كتاب"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

أبو الريحان محمد البيروني(ت440هـ/1048م)صاحب كتاب"أهم مصنف الآثار الباقية عن القرون الخالية".

أما في القرن الخامس هجري،(الحادي عشر ميلادي) فقد برز فيه رحالة وجغرافي المغرب الإسلامي،فأبدعوا في الميدان الجغرافي الذي كسا رحلاتهم وعناوينها ومن أهمهم أحمد بن عمر العذري صاحب كتاب"نظام المرجان في المسالك والممالك"،وعبيد عبد الله البكري(ت487هـ/1094م) أكبر رحالة أندلسي،صاحب أهم كتابين"المسالك والممالك"

[1]- أحمد رمضان أحمد ، المرجع السابق ، ص17.

[2]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص68.

[3]-هو علي بن الحسين بن علي من ذرية عبد الله بن مسعود لذا قيل له المسعودي،نشأ في بغداد وجاء إلى مصر ورحل في ظل العلم إلى أقصى البلاد، له من التصنيفات:كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر و كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور،وكتاب الرسائل والاستذكار بما مر في سالف الإعصار.أنظر:المسعودي،المصدر السابق،ص 7-8.

[4]-هو أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر المقدسي من بيت المقدس بفلسطين وإليه النسب ورأى في بعض المسترقين أعظم الجغرافيين عند العرب في جميع عصورهم،عاش في القرن4هـ/10م،فضرب في العالم الإسلامي وتنقل في ربوعه،اهتم بالحديث عن اختلاف أهل البلدان في كلامهم وألوانهم ومذاهبهم و اطلع على ما عندهم من المعارف والرسم والتاريخ،أنظر:المقدسي،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط2،مكتبة المد بولي،القاهرة،ص2.

ومعجم ما استخدم من أسماء الأماكن والبقاع ،ويعتبر معجما جغرافيا هاما،يتناول أسماء ومواضيع عدد كبير من المدن والبلدان الإسلامية وما يخصها من الأشعار والأخبار.[1]

وعرف القرن السادس هجري (الثاني عشر ميلادي) تنافسا للقرن الرابع هجري في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وآداب الرحلة،وإذا كان القرن 4هـ قد تميز بعدد الرحالة الكبير،فقد تميز القرن 6هـ بقوة أسماء رحالة لمعت وذاع صيتها، وضعت أسس أدب الرحلة بصورة فنية،حيث قدمت لنا مادة ضخمة تحفل بمعلومات اجتماعية وثقافية على البلاد التي جال فيها الرحالة،ويعتبر المنهج العلمي الذي اتبعوه في جمع المادة وتدوين المشاهدات يعد نقله حضاريه كبيرة في هذا المجال[2]،ومن رحالة هذا القرن الرحالة الجغرافي **أبو حامد الغرناطي الأندلسي** (ت508هـ/1115م) صاحب كتاب"المُغرِب عن عجائب المَغرب"[3]، والرحالة الجغرافي الشهير **الشريف الإدريسي**(ت560هـ/1148م) صاحب كتاب"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"،ويعتبر من أهم المصادر التاريخية لبلاد المغرب وصقلية.[4]

وكأن أول من استخدم لفظة رحلة كعنوان هو **أبو بكر العربي**(ت543هـ1148م)فأطلق على كتابه اسم"ترتيب الرحلة."[5]

وابتداء من أواخر القرن السادس هجري عرفت الرحلة تغيرا في اتجاه الكتابة من الاعتناء لجغرافية البلاد وآثارها الحضارية إلى الاهتمام بسرد يوميات الرحالة،وذكر خصوصياته ومشاعره وأفكاره و انتقاداته،كما أنّ الطابع الأسلوبي للكتابة عرف تحولا حيث أصبح سرد المعلومات متسلسلة بسيطا،وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي إلى الطابع

[1]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص74.

[2]-نفسه ،ص75.

[3]-كراتشكوفسي،**تاريخ الأدب الجغرافي العربي**،تر:صلاح الدين عثمان هاشم،ط2،دار الغرب الإسلامي بيروت-لبنان، 1987م،ص 226-231.

[4]-شوقي ضيف، **الرحلات**، ط2، دار المعارف، بيروت-لبنان، 1969م، ص19.

[5]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص75.

الأدبي[1].،وأحسن من يمثل هذا الاتجاه الأدبي الرحالة الأندلسي ابن جبير (ت614هـ /1257م) الذي"رفع الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية"في رحلته المسماة"تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"وكانت هذه الرحلة على غاية من الأهمية لأنّها الرحلة الأولى المدونة التي وصف صاحبها طريق الحجاز وصفا دقيقا،وصور بها عادات البلاد التي مرّ بها وتقاليدها[2].

ومع حلول القرن السابع هجري ،(الثالث عشر ميلادي) بدأ الجانب العلمي يطغى على كتب الرحلة فبرز عدد من الرحالة ،ولعل من أبرزهم **ياقوت الحموي(ت626هـ/1228م)** صاحب كتاب"معجم البلدان"وهو كتاب ضخم احتوى بين دفتيه معارف جغرافية وتاريخية هامة[3]،و**زكريا القزويني(ت682هـ/1283م)** صاحب الرحلة المسماة"عجائب البلدان وغرائب الموجودات".[4]

أما في القرن السابع هجري،(الثالث عشر ميلادي)فنقف على أولى الرحالة في المغرب الإسلامي أمثال الرحالة الأندلسي:**ابن سعيد الغرناطي(ت673هـ/1274م)**الذي جال أقطار العالم الإسلامي وسمع من علمائها، فألّف كتابيه"المغرب في حلى المغرب "و" المشرق في حلى المشرق"،وجمع في كتابيه بين الفروع العلمية كالتاريخ والجغرافيا والفلك وبين الميل الأدبي القوي.[5]ومع نهاية هذا القرن نصل إلى رحالة له سمات خاصة هو الأديب الفقيه"**محمد العبدري**"صاحب كتاب"الرحلة المغربية"،والتي اشتملت على أدق وصف لبلاد الشمال الإفريقي.[6]

أما رُحال القرن الثامن هجري (الرابع عشر ميلادي) فقد قدموا موسوعات جعلت أدب الرحلة يخطو خطوات كبيرة وثابتة،ومن أشهر رحالة المشرق،الرحالة **شمس الدين**

---

[1]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص42.

[2]- علي إبراهيم الكردي، **أدب الرُّحل في المغرب والأندلس**، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2013م، ص 11-13.

[3]-محمد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، مجلة البحوث الجغرافية، العدد9، 1399هـ/1979م، ص19.

[4]- نفسه،ص22.

[5]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص77-78.

[6]-محمد العبد ري ،**الرحلة المغربية**،تق،سعيد بوقلاقة،منشورات بونه للبحوث و الدراسات، الجزائر،2007م،ص8.

الدمشقي(ت828هـ/1274م) صاحب كتاب"نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" والرحالة **ابن فضل العمري** صاحب كتاب"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"[1]

ومن أبرز الرحالة في المغرب الإسلامي والعالم في هذه الفترة:**ابن بطوطة** صاحب أشهر رحلة مسماة ب"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"وقد حوت كم هائل من المعلومات الجغرافية والبشرية والأدبية الدقيقة.[2]

وأكثر من يمثل هذا الاتجاه **عبد الرحمان بن خلدون** في كتابه"التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"،فقد اهتم بوصف الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب إبان القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي)، وتصنف من الرحلات العلمية،وتقع في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد رحلة ابن بطوطة.[3]

ومن مشاهير هذا القرن نذكر الرحالة:**ابن رشد السبتي(محمد بن عمر الفهري)** صاحب الرحلة المسماة مل العيبة بطول الغيبة في الوجه الوجيهة إلى الكرمين مكة وطيبة،أو مل العيبة بما جمع في طول الغيبة من الشام ومصر ومكة والطيبة"[4]وهي من أكبر الرحل المغربية من حيث الحجم،إذ تقع في سبعة أجزاء،صرف مؤلفه جل اهتمامه إلى الحالة العلمية التي كانت تتصف بها البلاد التي مر بها،**والتجيبي القاسم بن يوسف بن محمد(ت730هـ/1330م)** ورحلته المسماة ب مستفاد الرحلة والاغتراب"[5]

وفي القرنين التاسع و العاشر هجريين،(الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين) تراجعت الرحلة والسبب يعود لكثرة الحروب وتزايد هجمات الأوروبيين على السواحل المغاربة على وجه الخصوص،لكن الرحلة استعادت نشاطها المعهود ابتداء من القرن (الحادي عشر

[1]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص79.

[2]- نفسه،ص80.

[3]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص14.

[4]-علي إبراهيم الكردي، المرجع السابق، ص12.

[5]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص75.

هجري،السابع عشر ميلادي) ومن بين الذين عرفوا فن الرحلة **الحسن بن محمد الوازن** المعروف باسم "**ليون الإفريقي**"" مؤلف رحلة"وصف إفريقيا"كتاب في الجغرافيا العامة.[1]

أما في العصر الحديث فقد تغير مسار الرحلات من المشرق و المغرب إلى أوروبا ويعود هذا إلى التطور في دول المغرب خاصة بعد الثورة الصناعية بالإضافة إلى إنشاء مراكز علمية كبيرة وهذا ما أدى إلى عدم الاهتمام بطلب العلم في بلدان مصر والحجاز والعراق كما كان في القديم،بل أصبحوا يتوجهون نحو دول أوربا،ومن أهم الرحلات التي مثلت هذا الاتجاه في بداية النهضة:رحلة **محمد رفاعة الطهطاوي** تلخيص الإبريز في تلخيص باريس"حيث وصف رحلته.[2]

ولم يكن القرن الحادي عشر والثاني عشر هجريين، (السابع عشر والثامن عشر ميلاديين) أحسن حظا حيث تدهورت نوعية الكتاب وتقلصت دوافع الرحلة، فيما عدا التأليف في الرحلات الحجازية الذي بقي محافظا على مكانة لا بأس بها.[3]ومن أشهر الرحالة **محمد لبيب البيتوني** المعروف برحلته الحجازية،ورحلة **شكيب أرسلان** صاحب كتاب"الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف".[4]

إنّ أدب الرحلات تراجع عما كان عليه في العصور السابقة،وحتى في أوائل القرن العشرين،على الرغم من أنّ العصر الحالي يعبر بحق عن عمر الرحلة والسفر،نظرا للإمكانيات والتسهيلات الهائلة التي حدثت بحيث أصبح السفر جزء من الحياة العادية،أو السياحة بمفهومها الحالي،أصبحت بعكس ما كانت عليه الأوضاع في الماضي،فالرحالة الأوائل كانوا أدباء ومؤرخين وجغرافيين ومكتشفين،لذلك جاءت كتاباتهم سِجِلا وافيا ودقيقا

[1]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص40.

[2]- نفسه،ص45-46.

[3]-عبد الغني إسماعيل النابلسي،**الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**،تق أحمد عبد المجيد هيروي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،1986م،ص1.

[4]-شوقي ضيف، المرجع السابق، ص68-69.

عن انطباعاتهم عن حياة الشعوب التي زاروها، ومظاهر سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم ونُظُمِهم الاجتماعية والسياسية...إلخ[1].

المبحث الثالث:أنواع الرحلات

إنّ للرحلة أنواع عديدة تدفع بالإنسان إلى السفر وشد الرحال،وقد تنوعت بتنوع أغراضها وموضوعاتها[2]،وقد حاول الدارسون تصنيفها وحصرها،لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها ،فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة،ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام وهي رحلة التجارة،ورحلة الجهاد،ورحلة السفارة،و الثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام هي رحلة الحج،ورحلة طلب العلم،ورحلة التجوال والطوف[3].

يقول **صلاح الشامي**"أنّ الرحلة اعتبارا من القرن السادس هجري(العاشر ميلادي)انطلقت على أوسع مدى،وتجاوزت ديار المسلمين،على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة،اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة ،ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج،و إدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي،وعلمية وهي تعمل لحساب طلب العلم والمعرفة."[4]

أما محمد الفاسي فيعدد أنواع الرحلة خمسة عشر نوعا وهي الرحلات:الحجازية، والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والاستكشافية والزيارية، والسياسية، والعلمية، والمقامية، والبلدانية، والخيالية، والفهرسية، والعامة والسفارية.[5]

---

[1]- صفية بوشرف،نسيبة مكي،**الرحلات المغاربية إلى المشرق خلال العهد العثماني**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،المدية ،2015/2014م،ص20.

[2]- علي بن سالم الو رداني،**الرحلة الأندلسية**،تح،عبد الجبار الشريف،الدار التونسية للنشر،الجزائر1778م ،ص13.

[3]- صلاح الدين علي الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدارسة الميدانية**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989م، ص ص112-114.

[4]- نفسه،ص114.

[5]-محمد بن عثمان المكناسي،المصدر السابق ،ص1-2.

يمكن إدراج الكثير من هذه الأنواع تحت عنوان واحد شامل كالرحلات الرسمية التي تضم السياسة والسفارية،ويمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا كالرحلات العلمية،والدينية، والاستطلاعية ، والزيارية، والسفارية.[1]

1-الرحلة الدينية:

يعتبر الحج الدافع الأساسي لدى المغاربة للقيام برحلات،لأنّهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب،فكان شوقهم لأداء الفرائض وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من غيرهم،وكانوا يتحملون في سبيل ذلك مشاق السفر،وأطلق على هذا النوع الرحلات الحجازية أو الحجيّة،فكان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال،فالحج كان ولا يزال يتشوق إلى أدائها كافة الناس وليس علماؤهم أو فقهاؤهم فقط.[2]

أما النوع الثاني فهي الرحلات الزيارية والصوفية،وهذا النوع يكتسي طابعا دينيا و روحيا، ويتمثل في زيارة العُبّاد والزُهّاد والوُعاظ،ويعتبر **أبو بكر الهروي" (ت611هـ/1215م)** " أشهر الرحالين المختصين في المزارات المتبرك بها،وقد دوّن تنقلاته تحت عنوان: "الإشارات إلى معرفة الزيارات."[3]

وهو دليل لزيارة الأضرحة والمقامات المشيدة في البلدان الإسلامية،ولا تخلو كتاباته من إفادات جغرافية تاريخية عن الأقاليم التي مرّ بها،أما المغاربة فلهم مشاركة بدورهم في مجال السياحة الدينية،والدعوة للتربية الروحية في مختلف البلدان العربية والإسلامية،ومن الذين قاموا بالرحلة في المجال الديني:"**ابن جبير**" الذي قام بثلاث رحلات للحج.

2-الرحلة العلمية:

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام، فمنذ عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية،فكان الدارس إذا ما استوفى تعليمه الأولي في

[1]-سميرةأنساعد،المرجع السابق ،ص23.

[2]-حسين نصار،**أدب الرحلة**،ط1، الشركة العالمية للنشر لونجمان،مصر1991م،ص21.

[3]-الحسن الشاهدي،**أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**،ج1،منشورات عكاظ،المغرب2002م،ص39.

وطنه،قرر شد الرحال إلى حواضر العلم بإحدى عواصم العالم غرفا من علمائها لحضور الدروس والحصول على الإجازات العلمية.[1]بحيث كانت معظم مراكز العلم منتشرة بكثرة في المشرق[2]، وهذا ما نوه إليه عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته الشهيرة حيث قال: "والرحلة لابد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال."[3]

ولقد حث الدين الإسلامي على هذا النوع من الرحلات ودليل ذلك قوله تعالى:**{{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ و مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ و لِيُنْذِرُوا أَقْوَامَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهُم لَعَلَّهُم يَحْذَرُون}}التوبة/122.**

ويمكن القول أنّ جلّ الرحلات العربية اتسمت بصفة علمية.[4]

ومن الرحالة الذين ارتحلوا من أجل طلب العلم نذكر منهم: ابن زاكور.[5]

3-الرحلة الاستطلاعية:

يسمى هذا النوع من الرحلات بالاستطلاعية أو السياحية فالدافع للقيام بهذه الرحلة هو الاستطلاع والرغبة في اكتشاف المجاهل حبا في المغامرة والترويح عن النفس[6].

وهذا النوع من الرحلة كثيرا ما يستغرق شهورا وسنوات يدون أثنائها الرحالة مايلفت انتباهه ويخالف ما تعوده فيقدم الرحالة بذلك وصفا للمسالك والممالك وأسماء البلدان والقرى والقبائل والمناخ...إلخ[7].

---

[1]-الطالب بوسعيد،الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني مجلة الواحات للبحوث والدراسات،العدد15،المركز الجامعي غرداية،2011م، ص435.

[2]-نقولا زيادة،الجغرافية **والرحلات عند العرب**،الشركة العالمية للكتاب،بيروت-لبنان (دت)،ص15.

[3]-ابن خلدون عبد الرحمان،**المقدمة**،تح:عبد السلام الشدادي،بيت الفنون والعلوم والآداب الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص226.

[4]-سميرةأنساعد،المرجع السابق،ص16.

[5]-أبو القاسم سعد الله،**بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**،دار الغرب الإسلامي،بيروت -لبنان2003م،ص152.

[6]-حسين نصار، المرجع السابق، ص5.

[7]-عبد الواحد ذنون طه،**الرحلة المتبادلة بين الغرب الإسلامي** والمشرق،دار المدر الإسلامي بيروت-لبنان،2005م،ص7-8.

والتوقف في المدن الرئيسية بالمشرق العربي كالقاهرة، والقدس، ومكة، والمدينة المنورة والعواصم الإسلامية كإسطنبول ،وأصفهان،وغيرها.[1] وأفضل مثال على ذلك:الحسن الوزان وابن بطوطة.

4-الرحلة السفارية:

يُعتبر المغاربة روادا في الرحلات السفارية أو الدبلوماسية،وكانت تتم من أجل السِفارة بين دولة وأخرى في توطيد العلاقات السياسية.[2]

وعدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يُوكَلُ بها الرحالة من قبل الحاكم للقيام بمهام معينة بدافع سياسي.

وهذا النوع من الرحلات ظهر في المغرب خلال القرن 16م وأفضل مثال على هذا الصنف من الرحلة ، رحلة التمغروتي سنة(997هـ/1589) عندما كلفه أحمد المنصور بسفارة سياسية إلى إسطنبول،وقد سجل السفير انطباعاته وملاحظته في كتاب سماه: "النفحة المسكية في السفارة التركية"وهناك أيضا رحلة أبو القاسم الزياني (1200هـ /1786م) والتي عين فيها للسفارة إلى إسطنبول وسماه:"الترجمانة الكبرى"[3]

المبحث الرابع:أدب الرحلات

1-مفهوم أدب الرحلة:

هو نوع من الأدب الذي يُصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث،وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان،أو يملي أو يحدث مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمعه وماراه،ويسطر ذلك شخص آخر كما أنّه نوع من أنواع النثر العربي.[4]

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص152.

[2]-أمحمد قرود، **الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاثة نماذج {أحمد المقري،عيسى الثعالبي،يحيى الشاوي النائلي}**،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر،2010/2009م،ص10.

[3]-مولاي بلحميسي،المرجع السابق،ص17.

[4]-ناصر عبد الرزق الموافي، المرجع السابق، ص35.

ولكن هذا الفن لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات وإنّما كان يظهر أحيانا تحت خانة كتب التاريخ والجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف،أو آداب الاعتراف.وهكذا فإنّ هذه التسمية"أدب الرحلات"تسمية وليدة هذا العصر وما شاهده من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان أدبية.وهناك نوع آخر من أدب الرحلات وهو القصص الأدبية والملاحم الشعرية الكبرى في تاريخ الإنسانية.[1]

عرف "**معجم المصطلحات الأدبية**"أدب الرحلة بأنّه مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة،وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق،وبتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها،أو يسرد مراحل راحلته مرحلة مرحلة،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.[2]

ويقول **أنجيل بطرس** أن:"أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب."[3]

وتحدث **محمد يوسف نجم** عن أسلوب الوصف في الرحلات فيقول أنّ:"قيمته متأتية من أنها تُصور لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه والانطباعات التي تركها في نفسه أناسه وحيواناته ومشاهده الطبيعية وآثاره،فهي بذلك مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنة جديدة وبين أناس لم يكن بهم سابق عهد...فالرحلة ليست سوى تجربة إنسانية حية يتمرس بها ويجعل التعرف إلى دقائقها واستكشاف خفاياه وقصده فيخرج منه أكثر فهما وأصدق ملاحظة،وأغنى ثقافة وأعمق تأملات،وما يعتري هذه المقالة تدني الكاتب إلى العاطفية المسرفة،وتكلفه المواقف التي وقفها غيره أمام المشاهد التي بصره وبصيرته."[4]

---

[1]-حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص17.

[2]-سميرةأنساعد،المرجع السابق،ص32.

[3]- ناصر عبد الرزق الموافي، المرجع السابق، ص37.

[4]-محمد يوسف نجم، فن المقال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1966م، ص115.

وحسب ما ذهب إليه الدكتور **سيد حامد النساج** بأنّه ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضعا،أو بمعنى آخر الرحلة عندما تُكتَب في شكل أدبي نثري متميز وفي لغة خاصة،ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة."[1]

وتمتاز الرحلة كذلك بأنّها تشكيل لنص ذاتي شخصي،بخصوص الأنا والآخر،ولعل خير أمثلة من أدب الرحل هو ما يكشف عن شخصية الرحال،يقدم بنجاح وصف البلاد التي ينتقل بينها والأشخاص التي يلتقي بهم.[2]

2-دور الرحلات في الكتابات التاريخية:

تكتسي كتب الرحلات أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب،وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم لذا كانت للرحلات قيمة تعلُّمية من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان،وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.[3]

إلى جانب الأهمية الجغرافية والتاريخية التي تتجلى لنا من مصنفات الرحالين العرب الأوائل، فتنظم بذلك التراث العربي الجغرافي والتاريخي، بما ساهمت به من مادة غزيرة، وقيمة كانت نتاج نظر ومعاينة و استقصاء وقراءة من قبل العلماء الرحالين.[4]

لقد ارتبطت الرحلة بكثير من أعمال التراث العربي في جوانبه المتعددة،ففي مجال الكشف الجغرافي،ووصف الأقاليم مثلا لعبت الرحلة دورا كبيرا فيم تضمنته تلك الأعمال من معرفة وبيان أضحيا الآن تراث تفتخر به الأمة العربية الإسلامية،ويشيد بقيمه الدارسون والباحثون،وتأكيد دور الرحلة في التراث الجغرافي للعرب والمسلمين،فإنّ عبد الله بن أحمد المقدسي صاحب كتاب"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"،هو أحد أقطاب التراث

[1]-سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا اليومية، مقال، مجلة العربي، الكويت، 1987م، ص113.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص34.

[3]- حسين محمود فهيم، المرجع السابق، ص9.

[4]-سميرةأنساعد،المرجع السابق،ص37.

الجغرافي العربي في القرن الرابع هجري،الذي يؤكد لنا أهمية رحلاته في أنحاء العالم الإسلامي من أجل المعاينة ،وجمع المادة العلمية التي لخصها في كتابه.[1]

وإذا انتقلنا إلى ذلك الصنف من التراث الذي يتصل بالتاريخ العربي الإسلامي.نجد أيضا أنّ دور الرحلة لا يقل أهمية عن إسهاماتهم الكبيرة في إثراء المعرفة الجغرافية وتأصيلها ومن ذلك يمكننا أن نشير على سبيل المثال إلى صاحب المُؤلف:"مروج الذهب ومعادن الجوهر أبو الحسن علي المسعودي ،فرحلات المسعودي هي رحلات عظيمة ابتغاها الرحالة ليدعم بها دراسته في التاريخ والجغرافيا.[2]

كما يفصح المقدسي عن المنهج الذي اعتمده في رحلاته،لتقديم مادة علمية دقيقة بحيث يقول في هذا الصدد:"اعلم أنّ جماعة من أهل العلم ومن وزراء،قد صنفوا في هذا الباب،وإن كانت مختلة غير أنّ أكثرها بل كلها سماع لهم،ونحن قلم لم يبق إقليم إلا وقد دخلناه،وأقل سبب إلا وقد عرفناه،وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب. "[3]

إذا لقد كانت الرحلة عنوانا كبيرا للمؤرخ الجغرافي على حد سواء ،وتأتي أهميتها في صقل المنهج،وتأكيد المشاهدة والمعاينة الأمر الذي أوثق المرئيات وأكد حدوث الوقائع،هذا علاوة على ما وسعته الرحلة من أفق ومدارك كل من الجغرافي والمؤرخ بسبب اتساع دائرة اتصالها بالبلدان والأقوام،وحوارها مع العلماء،وأصحاب المعرفة بأحوال البشر وتقلبات الأحوال في الزمان والمكان،إلا أنّ أمر الرحلة و أهميتها لم تقتصر على الجانبين الجغرافي والتاريخ من أعمال التراث العربي،فقد كان للرحلة أيضا شأن في مجال الأدب والفلسفة.[4]

احتاج الناس قديما إلى معرفة الطرق والبلاد،إمّا للتجارة أو الفتوحات فكان عليهم أن يلجئوا إلى التجار والفاتحين،لجمع ما لديهم من معلومات،فلما تم لهم ذلك الشيء أخذوا

[1]- حسين محمود فهيم، المرجع السابق،صص84-85.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص38.

[3]-محمد بن أحمد المقدسي، المصدر السابق،ص84.

[4]- حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص87.

يتداولونه إما تاريخيا أو جغرافيا،كما شهدت الجغرافيا العربية ازدهارا كبيرا بفضل مساهمات الرحالين العرب الأوائل كابن حوقل وياقوت الحموي ،وغيرهم من الجغرافيين الرحالين.[1]

ويُرْجِعُ محمود الخضر الحسين الفضل لكتب الرحلة في كونها حفظت لنا جانبا عظيما من التاريخ،إذ أودعت تلك الكتب منها مما شاهده مؤلفها من أحوال الدول ووقائعها كما أنّها ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب وحصول التعارف بينها،إذا أنّ الرحالة المجتهد لا ينزل بوطن إلا والتقى بطائفة من فضلائه والشأن أن يصف بهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية،إذا عاد إلى الوطن وصف لهم حال الأوطان التي نزل به فيكون لكل من الشعوب التي نزل وحل منها أو نزل بها عن خيرة من الشعوب الأخرى[2].

ولا نغفل في هذا الموضوع عن الفوائد التي ترجع على الرحالة المؤلف ذاته،من اكتساب التجربة والدربة في مجال التأليف،والتنويع الأسلوبي،في مجال التعبير الأدبي،وكذلك تنويع للثقافة الشخصية،وعدم التركيز على مجال واحد أو اختصاص واحد،إذ تجره الكثير من المناسبات خلال تأليف الرحلة إلى الخواص في مسائل مختلفة،علمية وأدبية شتى تدفعه إلى البحث والتحقيق،والتأكيد من صحة أقواله،وسلامة أفكاره ومناهجه.[3]

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ للرحلات در كبير في:

1-/وصف الأقاليم والعنيه بها،والتي اعتبرت جزء من أخبار الفتوحات والغزوات،كما كانت أنحاء الدولة الإسلامية المتسعة الأرجاء،تتطلب الدراسة والوصف تمهيد لتطبيق أحكام الشريعة،وتسهيلا لمهمة الولاة،ومن ثمة فقد كانت أول ما دُوِّن في التاريخ الإسلامي تاريخ المدن و الأقاليم،وهي التي ارتبطت بالفتوحات والجغرافيا.[4]

---

[1]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص38.

[2]_محمود الخضر حسين،الرحلات،تح:علي رضا التونسي،مطبع التعاونية،دمشق،1976م،ص ص17-18.

[3]-سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص39.

[4]- حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص10.

2-/التعريف بالبلدان ووصف الطرق والمسالك والأسواق وتبين مواضع الخطر والمشقة،حتى لا يقع فيها الآخرون من منجزي الرحلات.

3-/ذكر أخبار الأمم والأقوام والجماعات البشرية، ماضيا وحاضرا، وعرض محاسنها ومساوئها وعاداتها وتقاليدها، وقيمها وطقوسها الدينية، وطرق عيشها.[1]

4-/التأريخ لأحداث متنوعة وتقديم المعلومات موجزة أو مفصلة، عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، للبلدان المختارة أو المقصودة من الزيارة.[2]

لقد استأثر أدب الرحلات بالاهتمام قديما وحديثا، وعُنِي به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، ماضيا وحاضرا، حيث تحدثوا عن مشاهداتهم للأماكن التي مروا بها، وزيارة المعالم الأثرية والمساجد والمكتبات وما تحتويه من مخطوطات.[3]

ووصفها والتعريف بها، وزيارة المعالم والمواضع التاريخية.ومازال هناك عشرات المخطوطات من المؤلفات عن الرحلات لطائفة كبيرة من العلماء لم تنشر بعد،لذا ينبغي أن لا نهمل أدب الرحلات فهو فن متميز ومَعْلَم بارز من معالم الثقافة والمعرفة.[4]

3-أدب الرحلة وتقاليد السفر:

شكلت الرحلة محورا أساسيا في المجتمعات الإسلامية،وفي نفسية أفرادها وعليه كان الرحالة يهيئ نفسه ويتزود بالزاد الروحي والمادي قبل أن يشد الرحال،ومن هذا المنطلق أصبحت للرحلة آداب وللسفر تقاليد إسلامية عدّها **أبو حامد الغزالي** في تسعة نقاط هي[5]:

1-/أن يبدأ المسافر برد المظالم، وقضاء الدين، ولا يأخذ لزاده إلا الأكل الطيب، ويأخذ قدرا يوسع به على رفقائه.

---

[1]- سميرة أنساعد، المرجع السابق،ص35.

[2] -نفسه،ص36.

[3]- حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص13.

[4]- نفسه، ص14 .

[5]-أبو حامد الغزالي،**إحياء علوم الدين**،ج6،دار الغد العربي، ،القاهرة،1987م،ص107-108.

2-/أن يختار رفيقا أو أكثر فلا يخرج وحده، حيث يقول عليه الصلاة والسلام:**{{وإذا كُنْتُم ثَلَاثَةٌ فِي السَّفَرِ فَأَمُرُوا أَحَدَكُم}}** و إنّما يحتاج إلى الأمير لأنّ الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة.

3-/أن يُودِّع الرفقاء والأهل.

4-/أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة،ووقت الخروج يصلي صلاة السفر ويدعو دعاءه.

5-/أن يرحل عن المنزل بكرة، ويُفضّل أن يخرج يوم الخميس وسوف نرى معظم الرحالة حِرْصٌ أن يبدأ رحلته يوم الخميس.

6-/أن لا ينزل حتى يحمي النهار، ويكون أكثر سيره بالليل وهي سنة.

7-/أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة، وبالليل مستحب أن يتناوب الرفقاء في الحراسة.

8-/أن يرفق بالدابة إذا كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق،ولا يضربها،ولا يؤذيها.

9-/في آداب الرجوع من السفر أن يحمل المرء لأهله وأقاربه تحفة من مطعم أو غيره على قدر إمكانياته، فهو سنة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الرحالة زيادة على اتباعهم لتقاليد السفر وآداب الرحلة،فإنّهم يتمتعون بمميزات شخصية خاصة، منها قوة الملاحظة، حب الاستطلاع،ويقظة الحواس وحب الحوار، والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل[1].

من خلال كل هذا نستنتج أنّه لا توقف ثمار الرحلة عند كشف المجهول من طبائع الشعوب،لكنّها توجد بالمكاسب التاريخية،التي قد يتعذر حصرها فيعد نص الرحلة وثيقة تاريخية ذات أهمية بالغة للمؤرخ،لأنّ الرحالة يسعى إلى تدوين التواريخ منذ انطلاق الرحلة إلى عودته،ويتحدث عن المهام التاريخية،ويحكي عن الأحداث التي عاشها عن قرب أو سمع عنها،ويتعرض لعادات وتقاليد المجتمعات.زد على ذلك تطرقه إلى الجانب

[1] _ ليلي غويني،المرجع السابق،ص29.

السياسي والدبلوماسي،وتاريخ البلدان التي عبرها،وغير ذلك من الجوانب التي تعتبر خصية لدارسي التاريخ.

وما من تحفة أحسن من تحفة كتب الرحلات التي حملها العلماء ليس لذويهم فقط بل لأحفادهم،وللتراث العربي الإسلامي إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني : الرحلة الحجازية المغربية في العصر الحديث

المبحث الأول ماهية الرحلة الحجازية

المبحث الثاني قيمة الرحلة الحجازية

المبحث الثالث طرق الرحلة الحجازية المغربية

المبحث الرابع الدوافع والأسباب الرئيسية للرحلة الحجازية المغربية

إنّ للرحلة جذورا عريقة في التراث العربي الإسلامي منذ عهوده الأولى وكان لها دور كبير في إظهار مختلف أوجه الحياة الاقتصادية،والاجتماعية،والسياسية والثقافية بشكل خاص للمجتمع الإسلامي ،وكان عامل الحج من أبرز دوافع الرحلة لذلك تعتبر الرحلة الحجازية القاعدة الأساسية للتعرف على النشاط العلمي والفكري للأقطار الإسلامية بصفة عامة ومنطقة المغرب بصفة خاصة.

المبحث الأول:ماهية الرحلة الحجازية وأهمية منطقتها

ما أن يُذكر **الحجاز** إلا وتتوقف النفوس شوقا إلى تلك الديار المقدسة،فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد وموقع النون من العين،ففيه بيت الله الحرام و كعبته المشرفة،وشعائر الحج منن وعرفات ومزدلفة،وفيه مسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومرقده الشريف.

وفي الجاهلية سارت بين شعابه وفي بطون أوديته رحلتا الشتاء والصيف،وفي الإسلام كان الحجاز محور اهتمام ونقطة ارتكاز لكثير من الأحداث.

فأرضه استقبلت رسالة الإسلام الخالدة فنزلت آيات الذكر الحكيم وترددت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وجرت غزواته وسرياه.

ومن الحجاز انطلقت رايات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنشر دين الله الحق المبين.

وجاء في "**لسان العرب**"تعريف الحجز حيث قال:"الحجز:الفصل بين الشيئيين،حجز بينهما يحجز حجزا فاحتجز.واسم ما فُصل بينهما الحاجز،وقيل الحجز أن تحجز بين متقاتلين،والحجاز الاسم،وكذلك الحاجز.ومن ذلك قوله تعالى:**{{أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَدَرًا و جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا و جَعَلَ لَهَا رَوَسِي و جَعَلَ بَيْنَ البَحْرَينِ حَاجِزًا أَمَلُهُ مَعَ اللَهِ بَلْ أَكْثَرُهُم لَا يَعْلَمُون}}النمل/60.**

حاجزا بمعنى حجازا بين ماء مالح وماء عذب لا يختلطان،ويعني الحجاز أيضا في لفظ العرب الحبل الذي يلقى للبعير من قبل رجليه ثم يناخ عليه ثم يشد به رسغا رجليه إلى حقويه وعجزه،فقال منه حجزت البعير أحجزه حجزا،فهو محجوز.[1]

ويرى" **ياقوت الحموي**"أنّ الحجاز بكسر الحاء و آخره زاي.وينقل عن الأنباري أنّ في الحجاز وجهين يجوز أن يكون مأخوذا من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه إذا شده شدا يقيّدُبه،ويقال للحبل حجازا، ويجوز أن يكون سُمِي حجازا يحتجز بالحبال، ويقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت."[2]

ومن هذا يتبين أنّ المعنى اللغوي للحجاز عند العرب الفصل بين الشيئيين وهي لا تختلف في محملها ومؤداها عن الحجز والمنع والفصل وذلك ما ينطبق جغرافيا على الحجاز.

1-تعريف الرحلة الحجازية:

الرحلة الحجية نسبة إلى أداءفريضة الحج أو الرحلة الحجازية نسبة إلى بلاد الحجاز جنس من الرحلة في التراث العربي الإسلامي له في منطقة المغرب الإسلامي معنى أعمق وإحساس دقيق.[3]

وهي رحلة دينية يقصدها الرحالة بدافع أداء فريضة الحج والعمرة.[4]

وقد جاء هذا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:**{{لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَا لِثَلَاثِ مَسَاجِد:المَسْجِدُ الحَرَام، ومَسْجِدُ الرَسُول،و المَسْجِدُ الأَقْصَى}}رواه الترميذي**

وعملا بهذا القول قصد جمهور من العلماء والرحالة المغاربة البقاع المقدسة،وكان الحج فرصة لهم لزيارة الأقطار الإسلامية،ولقاء علمائها مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام:**{{سَافِرُوا تَصِحُوا وتَغَنَّمُوا تَزْدَادُوا رِزْقًا}} رواه الترميذي**

---

[1]-ابن منظور،لسان العرب، مج1، المصدر السابق، ص، 331-333.

[2]-ياقوت الحموي،معجم البلدان،دار الصادر،بيروت،1988م،ص ص218-219.

[3]-فاضل إسماعيل خليل،الرحلة في طلب الحديث،مجلةأدب البصرة،العدد37،تصدر عن كلية الآداب،جامعة البصرة،2005،ص36.

[4]-سميرة أنساعد،المرجع السابق ،ص27.

لهذا حرصوا على وصف رحلاتهم الدينية حيث إقامتهم وتأدية شعائرهم حتى أضحت كتبهم دليلا لمن أراد السفر ومرشدا لمن يحذر الخطر.[1]

لكن لم تقتصر الرحلة على أداء فريضة الحج بل تجاوزها إلى تحصيل العلوم الدينية النافعة والأخذ من علوم الفقهاء والعواصم التي يمرون بها،لهذا كان بعضهم يسافر قبل الحج بزمن كافٍ ليجد من الوقت ما يحصل فيه زاده من العلم والمعرفة،فكان من أثر ذلك أن ألفوا كتبا كثيرة في وصف الرحلات إلى البيت العتيق ومنهم من أدمجها في كتب المسالك ومنهم من خصص لها كتبا وهذه الرحلات إما نثرا أو شعرا.[2]

2-التحديد الجغرافي للحجاز:

يلاحظ من الوصف الجغرافي الذي تقدمه كتب الجغرافيا الإسلامية بأنّ حدوده لم تكن ثابتة وغالبا ما تتداخل هذه بينه وبين أقاليم شبه الجزيرة العربية الأخرى وهي:تهامة والعَرُوض واليمن بالإضافة إلى الحجاز.[3]

فمن الناحية الامتداد الجغرافي نلاحظ بأنّه كان يمتد شمالا من تبوك ويتراجع من الناحية الجنوبية إلى ما وراء يثرب.[4] وفي بعض الأحيان تدخل مدينة يثرب مع منطقة نجد المجاورة لها[5]،كما تضاف اليمامة إلى الحجاز مع مكة والطائف.[6]

ويكاد معظم الجغرافيين يتفقون على أنّ الحجاز هي المنطقة المحصورة بين تهامة ونجد.[7] والممتدة على محاذاة البحر الأحمر من العقبة شمالا وحتى عسير جنوبا وهي عبارة عن سلسلة جبال تعرف بجبال سَرَاة.[8]

---

[1]-فاضل إسماعيل خليل،المرجع السابق،ص35.

[2]- محمد العبدري النابلسي،المرجع السابق، ص1-2.

[3]-محمد المقدسي،المصدر السابق ،ص69.

[4]-الأصطرخي إبراهيم بن محمد الفارسي،**المسالك والممالك**،تح:محمدجابر،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،1961م،ص21.

[5]-ابن خرداذبه،**المسالك والممالك**،مطبعة بريل،لندن،1967م،ص128.

[6]-ابن حوقل،**صورةالأرض**،دار مكتبة الحياة،بيروت،ص38.

[7]-البكري الأندلسي،**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**،تح:مصطفى السقا ،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1945م، ج1، ص111.

[8]-الشريف أحمد إبراهيم،**مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول**،ط2،دار الفكر العربي للطباعة والنشر، وهران 1965م،، ص13.

ويتماشى هذا التحديد مع ما حدده **القزويني** حيث يقول:{{بأنّه حاجز بين الشام واليمن وهو مسيرة شهر.}}[1]

ويقول المسعودي في تحديد منطقة الحجاز:{{إنّه حاجز بين اليمن والشام والتهائم.}}[2]

ويقول الهمداني:{{هو ماحجز بين الام واليمن.}}[3]

ويصفه البكري:{{ما احتجز به في شرقية من الجبل وانحاز إلى ناحيته بين الجبلين"آجاوسلمى"إلى المدينة ومن بلاد منجح تثليث وما دونها إلى ناحية فيد،فذلك كله الحجاز.}}[4]

من خلال العرض السابق لأهم آراء المتقدمين من الجغرافيين والمؤرخين في تحديد إقليم الحجاز رغم التفاوت الظاهر بين بعض الآراء في دقة التحديد إلا أنّ من المتفق عليه بينهم أنّ جبال السراة تمثل الحاجز من حيث الوصف الجغرافي وتمتد من بادية الشام إلى تخوم اليمن،وينحصر مسمى الحجاز التاريخي من جنوب الطائف في السراة والسرين في الساحل حتى العقبة وجبال السراة في تخوم الأردن وساحل البحرين العقبة شمالا والسرين جنوبا يسمى تهامة الحجاز وهو جزء منه وتقع مكة في تهامة والمدينة في الحجاز.

وفيما يلي عرض لأهم آراء المؤرخين والجغرافيين والفقهاء المعاصرين:

يذكر فؤاد حمزة:أنّ جبال السراة هي التي تقسم جزيرة العرب إلى قسمين شرقي وغربي،وهي محاذية لساحل البحر الأحمر من شمال مدين إلى اليمن وقد سميت حجازا لأنّها حجزت بين ساحل البحر الأحمر وهو هابط عن مستواها وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربي،وقد سمي القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة وسمي القسم الشرقي منه نجدا.[5]

---

[1]-القزويني،**آثار البلاد وأخبار العباد**،دار صادر،بيروت،1960م،ص84.

[2]-المسعودي، المصدر السابق ص35.

[3]-الهمداني،**صفة جزيرة العرب**،تح:محمد بن عبدالله النجداوي،القاهرة،1953م،ص50.

[4]-البكري الأندلسي،المصدرالسابق،ص9.

[5]-عبد الحكيم الكعبي،**موسوعة التاريخ الإسلامي"عصر النبوة وما قبله"**،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن عمان،2003م،ص20.

ويعترض **عمر رضا كحالة** مجموعة من التعاريف والآراء حول تحديد الحجاز جغرافيا فيقول:{{الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وهو إقليم مستطيل اختلف في حدوده السياسية باختلاف العصور والدول،كما تعددت الأقوال في الحدود الطبيعية}}

وينقل رأيا **لحافظ وهبة** من أنّ الحجاز يمتد من معان مارا برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفدة على شاطئ البحر الأحمر.

كما ينقل عن **الشريف البركاني** الذي يحدد الحجاز غربا بالبحر الأحمر وشرقا بالبادية الكبرى وجنوبا بلاد قبيلة بني مالك بجبل السراة ووادي دوقة على الساحل،وشمالا من جهة البحر الأحمر العقبة.

أما **أمين الريحاني** فيوضح حدود الحجاز في جهة الغرب بالبحر الأحمر وفي الشمال بالعقبة وفي الجنوب بالقنفدة وجبال عسير،أما في الشرق فيرى أنّها مختلف عليها وغير معروفة تماما في رأيه.[1]

ويرى **صالح العلي** أنّ القول بأنّ السراة هي الحجاز غير واف ولا دقيق،فمن المعروف أنّ بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازا و إنّ ما يسمى الحجاز يرتكز في وسط السلسلة.[2]

ويرى الباحث المعاصر **عاتق البلادي** أنّ أواسط الأقوال في تحديد الحجاز أنّه يمتد من السراة في الأردن إلى حلي وتثليث وجرش جنوبا،وتدخل في تهامة الممتدة من حلي إلى العقبة،ومن الشرق ينتهي إلى أنّ حيز الأقوال من حدود الحجاز بالقرب من الحناكية.

وفي مقدمة كتابه"**معجم معالم الحجاز**"يقول:{{أما المعالم التي تناولها الكتاب فهي من جنوب الليث جنوبا إلى العقبة والمدورة "سرغ" شمالا ومن الشرق على الحزم والموية وحرة كشب ورحرحان شرق الحناكية،ثم الشرق تيماء إلى التطبيق جوش .[1]

---

[1]-أحمد علي،**جغرافية شبه جزيرة العرب**،ط2 ،مكتبة النهضة الحديثة،مكة،1384هـ/1964م،ص129-131.

[2]-صالح العلي،تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب،العددالأول ،الرياض، 1968م،ص9.

وينتهي بكر أبو زيد إلى أنّ الحجاز بالجملة مكة والمدينة ومخالفهما وتلك الجزر وما انحاز عنها غربا إلى ساحل البحر الأحمر.

وبعد عرض آراء الباحثين والجغرافيين والمعاصرين يتضح لنا أنّ المدينتين المقدستين مكة والمدينة ومخاليفهما وجزرهما وساحل البحر الأحمر من أبلة" العقبة" حتى ميناء السرين جنوب الليث وما يقابل الساحل شرقا وبتهامة من جبل السراة جنوب الطائف هو المقصور بالحجاز،وأما الاختلاف من جهة الشرق فإنّ التقسيمات الإدارية عبر العصور أثّر في هذا الاختلاف حيث تتسع في زمن وتضيق في زمن آخر[2].

المبحث الثاني: قيمة الرحلة الحجازية

من أهم الخصائص العلمية التي تميز الرحلة الحجازية تعدد مواضيعها مما وسع مجال الاستفادة منها فنجد الرحالة يمزج بين الجغرافيا والتاريخ والأدب والدين،وعليه يمكن أن تكون موضوعا للعديد من البحوث والدراسات من جميع الجوانب نظرا لغزارتها ومما تقدم ذكره يمكن رصد أهم القيم العلمية للرحلات الحجازية في المجالات التالية:

1-القيمة التاريخية:

تكشف لنا الرحلات الحجازية عن معلومات تاريخية مهمة تتعلق ببلاد المغرب،مصر، الحجاز،بلاد الشام، والعراق في الفترة الحديثة،مما يغطي الكثير من الفراغات فيما يتعلق للحكّام والأعضاء السياسية وحدود الدول والإمارات وعلاقة الرعية بالسلطة الحاكمة،لأنّ الرحالة يسعى إلى تدوين التواريخ منذ انطلاق الرحلة إلى عودته،ويتحدث عن المعالم التاريخية ويحكي عن المجتمعات، ضف إلى ذلك تطرقه إلى الجانب السياسي والدبلوماسي،ونظام الحكم لشعب من الشعوب،وغير ذلك من الجوانب التي تعتبر مادة

[1]-عواطف محمد يوسف نواب ،المرجع السابق،ص29.

[2]-الحاج صادوق،الرحلات المغاربية الى الحجاز واثرها على البيئة الحجازية،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر،2012/2011م،ص35.

خصبة لدارسي التاريخ،وقد تمكنا بفضل كثرة هذه الرحلات وتعددها وانتشارها الزماني والمكاني من رسم صورة شبه كاملة للأحداث التاريخية.[1]

2-القيمة الجغرافية:

قدمت الرحلات بصفة عامة والرحلات الحجازية بصفة خاصة خدمة كبيرة للأدب الجغرافي حيث زودنا الرحالة بصورة وافية ومعلومات دقيقة عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية[2]، للمناطق التي مروا بها فهو عندما يصف الممالك والبلدان والمدن والمسالك، ويتحدث عن التضاريس والمناخ والطرق وأماكن تواجد المياه إما يمكننا من وضع دراسات وصفية للأقاليم التي مروا بها.[3]

3-القيمة العلمية الثقافية:

لم يكتف الرحالة المغاربة بالحج كهدف وحيد بل استغلوا الرحلة لطلب العلم وأخذ الإجازات والفتاوي والتأليف كما حفلت رحلاتهم بأسماء العلماء والمؤسسات العلمية والنوازل والأشعار والأحكام والمسامرات ومجالس العلم.[4]

4-القيمة الأدبية:

ارتبطت الرحلة بالأدب العربي حيث اشتملت على الكثير من العناصر الأدبية واعتمدت أسلوب السرد القصصي واهتمت بالوصف الدقيق[5] والتعبير الفني الصادق عن المشاعر شعرا ونثرا مما زاد في قيمتها قوة الملاحظة عند الرحالة المغاربة وحب الاستطلاع واليقظة والانتباه وصدق العبارة وتسجيل الشاردة والواردة والاهتمام بأدق التفاصيل.[6]

المبحث الثالث:طرق الرحلة الحجازية المغربية

1-نوال عبد الرحمان شوابكة،**أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري**،دار المأمون للنشر والتوزيع،عمان ،2008م، ص52.

[2]-فؤاد قنديل ،المرجع السابق ،ص23.

[3]-حسيني محمود حسين،المرجع السابق ص8.

[4]-الحسن الشاهدي،المرجع السابق ،ص93-96.

[5]-نوال عبد الرحمن الشوابكة ،المرجع السابق ،ص45.

[6]- نفسه،ص16.

قد أفلح إجتهاد الرحالة العرب منذ زمن بعيد في اختراق حاجز المسافة كما أنّ كتاباتهم نقلت الكثير من الصور حول البلدان وطبيعتها ومسار الطريق وتفاصيل محطات الماء وعناصر جغرافية أخرى،فتحدث الرحالة بشكل طبيعي عن الطريق الذي يتخذونه للوصول إلى غايتهم من الرحلة،أما الرحلة الحجازية المغربية فكانت تتخذ طرق مشهورة نحو المشرق وهي:

1-الطريق المزدوج البري البحري:

وهو الطريق الذي اختار فيه الرحالة الانتقال من مدينة لأخرى تارة برا وتارة بحرا مثلا من فاس إلى تطوان برا ومن تطوان[1] إلى الجزائر بحرا،ومن الجزائر إلى تونس برا أو بحرا ومن تونس إلى سوسة[2] برا،ومنها إلى الإسكندرية بحرا،ومن الإسكندرية إلى الحجاز بحرا.[3]

2-الطريق البري الساحلي:

يشكل الطريق البري عبر العصور الطريق المفضّل لدى المسافرين من التجار والحجيج وطلبة العلم،وهو الطريق الذي يحاذي الساحل المغربي ويعرف بالطريق الساحلي وينطلق من المدن الساحلية المغربية مرورا بفاس،وجدة،وتلمسان،مستغانم،تنس،الجزائر،قسنطينة صفاقس، طرابلس، ثم المدن الساحلية الليبية:تاجوراء، مصرتة، جنوب الجبل الأخضر دفنه...ثم إلى الإسكندرية.[4]

3-الطريق العرضاني أو الأوسط:

---

[1]-مدينة بناها الأفارقة القدامى على بعد نحو ثمانية عشرميل من المضيق وسنة أميال من البحر.أنظر:الحسن بن محمدالوزان،**وصف افريقيا**،ترمحمد حجي ومحمد الأخضر،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان،1383هـ/1963م،ص318.

[2]-مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد مائة ميل من تونس.أنظر:نفسه،ص83.

[3]-أحمد المقري،**الرحلة إلى المشرق والمغرب**،تح:محمد بن معمر،مكتبة الرشاد،الجزائر،2004م،ص83.

[4]-عبد الرحمان المؤذن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار**{قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر} ، منشورات كلية الأدب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1995م،ص118.

وهو الطريق الأوسط أو الخط الأوسط الذي يمر جنوب وسط الجزائر وتونس ينطلق هذا الخط من سلجمانة جنوب المغرب، فقيق، منطقة العمور، الأغواط، مسعد، بسكرة {أهم محطة حيث يلتقي فيها جموع الحجاج الجزائريين والمغربين} ثم يمر بسيدي عقبة وسيدي ناجي ليصل إلى الجنوب التونسي مارا بالحامة، وقابس،ثم يواصل عبر ساحل طرابلس مشرقا حيث يلتقي هناك بالطريق الساحلي.[1]

4-الطريق الصحراوي:

تكون نقطة انطلاقه من إقليم درعة أقصى جنوب المغرب ثم إقليم توات ثم فزان بليبيا ومنها إلى مصر حيث يصعد شمالا ويمر عبر سيناء أو ينتقل عبر البحر الأحمر إلى جدة.[2]

5-ركب الحج:

يبدأ الإعداد لركب الحج بفترة زمنية كافية قبل انطلاقه وسواء كان الركب من تونس أو طرابلس أو المغرب،فإنّ آليات التنظيم متماثلة إلى حد كبير، فأول خطوة هي الإعلان عن موسم الحج إذ يجوب المعلن الرسمي المدن والقرى للإبلاغ عن انطلاق الاجتماعات لوضع الخطة والتفاصيل العامة للركب،فكانت هذه العملية تتم بين الهيئة الرسمية والصلحاء من أهل العلم هذا بالنسبة للركب الجزائري والتونسي والطرابلسي في العهد العثماني.

أما فيما يخص الركب المغربي فكانت هذه المهمة في عهد الدولة الموحدية تترك لمبادرات الصلحاء لكن استطاعت الدولة المرينية أن تفرض إشرافها على تنظيم وتوجيه ركب الحج ابتداء من عهد يوسف بن يعقوب ومن ذلك الوقت أصبح الاشراف على ركب الحج من مهام الدولة الرسمية،سواء في العهد الوطاسي أو السعدي أو العلوي.[3]

---

[1]-الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق،،ص 146-147.

[2]-الحسن الورتيلاني،**نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار**،تح: محمد بن الشنب،مطبعة بيار فنتان،الجزائر،1908م ص74.

[3]-عبد الرحمان المؤذن، المرجع السابق،ص118.

وينقسم هذا الركب إلى مجموعة من الركبان يُنسب كل واحد منها إلى الموطن الذي خرج منه وهي:

1-ركب فاس:

وأسس هذا الركب سنة 753هـ/1351م وأصبح يسمى في هذا القرن الركب الرسمي الذي يسير فيه حجاج بلاد المغرب،حتى أنّ رئيس هذا الركب الإداري أو شيخه هو المسؤول الأول والأساسي عنه وعن بقية الركاب الأخرى،وكان هذا الرئيس هو المعروف بأمير ركب الحاج المغربي وكان يحمل الهدايا لأهالي الحرمين الشريفين والمخصصات الأخرى من أوقاف وهبات.[1]

كذلك فقد يساعد في أداء مهمة مجموعة من العربان الذين يقدمون المساعدة على حفظ الأمن لركب فاس ومن ينضم إليه[2].

2-الركب المراكشي:

وينسب هذا الركب إلى إقليم مراكش في أقصى بلاد المغرب وكان خروجه من العصور المتقدمة وكان أمير هذا الركب يحمل الصرة وبعض الهدايا الأخرى والعديد من الأصناف المتنوعة التي تُرسل إلى المسجدين الشريفين والأشراف وغيرهما.[3]

وكانت تلك الركبان تسير من أقصى بلاد المغرب إلى المشرق في نفس الطرق التي اعتاد أمراء الركبان سلوكها حتى يصله الركب إلى مصر ويتوقف بها.[4]

حتى ينضم إلى الركب المصري،وإذا اقترب موعد السفر إلى الحجاز يأخذ خطباء المساجد في إعلان ذلك للناس والحث على الرحلة إليه ويبدأ هذا الوضع من مدينة فاس.ويقوم المنادون بالإعلان عن خروج الركب ويحددون يومه،وفي أوائل جمادى الثانية

---

[1]-محمد المنوني، **ركب الحاج المغربي**، معهد مولاي الحسن، تطوان-المغرب، 1953م،ص12.

[2]-محمد علي فهيم بيومي، **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي**،ط2،جامعة الأزهر، القاهرة،، 2006م،ص21.

[3]-أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**،ج1تح:جعفرالناصري،ومحمد الناصري ساحة المسجد المحمدي،دار البيضاء، ص15.

[4]-محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص22.

يتحرك الركب خارج مدينة فاس وينزل الركب من باب الفتوح إلى الضفة الشرقية لواد"سبو"في هيئة بديعة،وشارة حسنة من الاحتفال ونصب الخيام،وقرع الطبول وإظهار الزينة،ويشيع الركب تشيعا منقطع النظير،وقد يحظره السلطان وحاشيته والرجال والولدان والأحرار والعبيد كما يخرج الشعراء لإلقاء القصائد احتفالا بخروجه.[1]

3-ركب سجلماسة:

كان يخرج من مدينة سجلماسة ذاهبا إلى تافيلات وهو ركب قديم وأول من سيّر هذا الركب الجد الأعلى للبيت العلوي الشريف،وكان يسير تحت إمرته رئيس يختاره أهل الركب من أفضل القوم،وتذهب فيه خلائق كثيرة وكان لا يخلو من كبائر الأعلام ويعد هذا الركب من أشهر الركاب بعد الركب الفاسي.[2]

4-الركب البحري:

كل الركاب السابقة كانت تسلك طريق البر في ذهابها و إيابها وخلال ذلك فقد كانت جماعات تؤلف ركابا تسافر في البحر ذهابا وإيابا،ولم يكن هذا وليد تقدم السفر في البحار بظهور السفن التجارية،بل كان قبل ذلك بزمن بعيد وكثيرا ما كان بعض الحجاج المقاربة يرجع عن طريق البحر،ومن هذا وفد مغربي من أهل مراكش وسوس وفاس وغيرهم،ومن أيام السلطان المولى عبد الرحمان كثر الحج على البحر ذهابا وإيابا وعليه من مرسى طنجة[3]،وبعد هذا الحديث عن الركب البحري ببيان أنه هو الذي نسخ سائر ركاب المغرب الأخرى وحلّ محلها وصار مع الزمن هو ركب المغرب الرسمي وخلاصة السير في هذا الطريق تتمثل في خروج الركب المغربي إلى البحر سواء في تونس أو

[1]-محمد المنوني، المرجع السابق،ص 15-17.

2-نفسه ، ص 17-18.

[3]- مدينة قديمة مأهولة بالسكان بها ميناء كبير واد صناعة السفن وبها أبراج وقلاع ومحارس ومقطم لسكان ينتسبون الى صنهجة.انظر:الادريسي،**نزهة المشتاق في اختراق الافاق**،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص229.

الجزائر أو المغرب أو غيرهما حتى مصر حيث يصلون إلى السويس ومنها إلى ينبع ومنها إلى المدينة المنورة وهو نفس الطريق الذي سلكه الكثير من الرحالة المغاربة[1].

ويضاف إلى الأركاب السابقة ركائب تونس والجزائر وطرابلس المغرب فيز يدون أعدادهم ويؤلفون ركبا مغربيا كبيرا فضلا عن كثرة ما يحملونه من عدة وعتاد[2].

المبحث الرابع:الدوافع و الأسباب الرئيسة للرحلة الحجازية المغربية

1-الدافع الديني:

يمثل هذا الدافع السبب الرئيسي والأول لأغلبية المتوجهين للمشرق الإسلامي فهو العامل يقضي بشد الرحال من كل حدب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج الواجبة على المسلم ما لم يعقه عائق من ضعف أو قلة مال،ويقتضي هذا العامل أيضا زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام،والمزارات الدينية الأخرى كالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين،وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء،في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرهما.[3]

ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرحلة فهو مبعث الحنين في نفوس المغاربة على ارتياد البلد الحرام،فالحج من أهم الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب،وعملت على توحيد الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية،على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها عن الحجاز،ولم تستطع هذه المسافات أن تحول دون التوجه للحج وزيارة البقاع المقدسة.[4]

---

[1]- محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص37

[2]- عواطف محمد يوسف نواب،**كتب الرحلات في المغرب الاقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**،دار الملك عبد العزيز،الرياض،2008م،ص256.

[3]-محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص14.

[2]- نوال عبد الرحمن شوابكة ،**أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري**،ط1،دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان،2008م،ص7.

لا نبالغ إذا قلنا أنّه لا يوجد مكان في العالم يؤمه عشرات الألاف من الأشخاص كل سنة مثل الحجاز{مكة والمدينة المنورة}ولعل هذا الوضع هو الذي قاد إلى ما يسمى برحلات الحج،وهي رحلات تختلف عما هو معهود من رحلات.

وهذه الرحلات المخصصة لنُسك إسلامي ألا وهو الحج والعمرة لا تتعدان ولم يعرف أصحاب تلك الرحلات أمكنة خارج نطاق الحج ومكانه،ولم يسبحوا في الأرض ابتغاء مأرب أو بتكليف مسبق وهم لا يرحلون إلا لهذين النسكين طفق عدد كبير من الحجاج الرحالة أو الحجاج العلماء أو الحجاج طلاب العلم من ابتهال الفرصة،فأخذوا يكتبون ويؤلفون ويدرسون وينشرون علما نافعا يتمحور حول الحرمين الشريفين وحول المدينتين المقدستين وحول المناسك والشرائع وحول الحج والعمرة والزيارة وهو ما تعلق بهذا أو ذاك[1]،مثل ملاحظة أحوال سكان المدينتين{مكة،والمدينة}ومعاشهم وعاداتهم أو مثل التأليف في شعيرة لها المساس بوجود المسلم في مكة،والطرق والمسافات في مكة والمدينة،بل كان البعض يجمع بين الحج والعناية بالأثر والدراية والرواية على يد مشايخ البلدين الشريفين،وبعض المقيمين أو المجاورين من الرحالة يسجلون لأساتذتهم تراجم ومعلومات لا تتوافر إلا في مثل هذه الكتب،ومن هنا توافر لنا اليوم عدد وفير من المؤلفات التي تندرج تحت مسمى كتب الحرمين الشريفين.

إنّ ما يقوي الاعتقاد بأنّ الرحلة إلى الحجاز عند المسلمين عامة والمغاربة خاصة تتخذ طابعا روحيا دينيا هو حرص الرحالة المغربي المسلم على أن يكون قصده من رحلته وجه الله حتى لا يكون حظه من السفر هو النصب،ومن الإمارات الدالة على عمق الأواصر بين الرحلة والدين عند المغاربة انكباب كثير من الأئمة والعلماء على السفر وانشغالهم بتنفيذ رحلاتهم وجدير بنا في هذا السياق أن نشير إلى أنّ أهل المغرب كانوا أكثر الناس رحلة وتقليدا لها وفي مقدمتهم ثلة من الأئمة المفسرين والحفاظ والمحدثين والفقهاء،ولا

[1]- حسين جلاب،أدبيات الشوق الى البقاع المقدسة،مجلة دعوة الحق، العدد351،شوال-ذي الحجة 1424هـ/جانفي-فيفري 2001م،.ص44.

عجب من أن يستعمل الرحالة المغاربي الرحلة إلى بيت الله الحرام دون أن يكترث لما يلاقيه من مشاق.[1]

ومهما بدت رحلة الحجاج المغاربة في ذهابهم وإيابهم مُحاطة بالمخاطر ومحفوفة بالمكاره،فإنّ جسوره الروحية للبقاع المقدسة بقيت موشوجة وقوية فلقد عظم المغاربة في البقاع وعبر عن شوقه لزيارته،وإنّ الشوق والحنين إلى الأماكن المقدسة ليس تعظما للمكان وإنّما للرسول عليه الصلاة والسلام نزيل ذلك المكان،وفي حبه حب الرسول صلى الله عليه وسلم ولعل الرحلة الحجية من هذا المنطق تمثل إمتدادا للشوق العارم والعاطفة الدينية الملتهبة،فلا يشفي غليل المسلم إلا أن يظل مستحضرا جلال المكان وقداسته[2].

ولا يستطيع هذا المسلم أن يفارق البيت الحرام إلا بأسى وشَجَن.

ولم يكن الرحالة المغربي شأنه شأن المسلمين جميعهم يقنع برحلة واحدة إلى الحج ولكنّه ما أن يعود إلى بلاده ويستقر بين أهله حتى يعوده الشوق والحنين مرة أخرى أد وأقوى فيشد الرحال من جديد إن تمكن من ذلك.[3]

إنّ الرحلة إلى الحجاز لم تقتصر على موسم الحج الأكبر،بل كانت تحدث من أجل من أجل أغراض أخرى كالعمرة وطلب العلم ومجاورة الحرمين الشريفين والهجرة ولكن ليس كل عالم أو مسلم قصد الحجاز ترك رحلة مكتوبة.[4]

2-الدافع الثقافي العلمي:

إنّ دوافع الرحلة متعددة ولها صلة وثيقة بطابع الحضارة الإسلامية التي امتدت سيادتها على دنيا المشارق والمغارب،وطبيعي أن تكون الرحلات والأسفار من أولى الأسباب لطلب العلم في تلك العصور،ويلحظ أيضا أنّ العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني،فالدين نفسه يدعو إلى العلم والمعرفة.

---

[1]-فاطمة خليل،من ملامح الرحلة المغربية،مجلة البحث العلمي،العدد4،1991م ،ص28.

[2]-حسين جلاب،المرجع السابق،ص4 4.

[3]-علي إبراهيم الكردي،المرجع السابق،ص13.

[4]-أبو القاسم سعد الله، **على خطى المسلمين**،،ط1،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009م،ص32.

وكانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد عند علماء المسلمين،فبعد أن ينهل الطالب من علماء بلدته والبلدان المحيطة بها يبدأ في الاستعداد للرحلة إلى الحواضر الكبرى،والغرض منها هو تحصيل علو الإسناد ولقاء الحُفَّاظ والمذاكرة معهم[1].

وتعتبر الرحلة من شروط اكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ بشد الرحال إليهم وصارت مكانة العالم تقاس باتساع رحلته وكثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم،ولما كان المغرب معروفا منذ القديم بتعداد المدارس وكثرة الخريجيين فقد كان الكثير منهم يطمحون لاستكمال دراستهم بالمعاهد العلمية الكبرى لحواضر الشرق الإسلامي خاصة منطقة الحجاز،وقد استقر بعضهم بتلك المنطقة ولم يعودوا إلى أوطانهم وتحفل كتب التراجم بأسمائهم[2]لأنّ الحجاز يتمتع بميزة أخرى جعلته أكثر جذب للعلماء وطلاب العلم بحكم مكانته الدينية،فأكثر من يقدم للحج والعمرة يقيم فترة للمجاورة في الحرمين للتزود ببعض العلوم الشرعية.

ومجالسة أهل علم الدين قد لا يتيسر لقاؤهم في غير الحجاز،وربما طال به المقام فيستقر فترة من الزمن قد تطول أو تقصر وفي هذه الحالة يعد مجاورا فيستفيد من اتصاله بالعلماء لما يفيد غيره من علمه،وعليه يمكن أن نصف الذين قاموا بهذه الرحلات إلى نوعين هما:

* نوع قام بالرحلة لطلب العلم والإفادة من علماء عصرهم.

* نوع آخر نال حظا وفيرا من العلم فارتحل إلى أقطار أخرى للإفادة.

لم تكن المدينة المنورة هي المعقل الوحيد وإن كانت تحتل الصدارة في هذا الباب،بل قصد طلاب العلم معظم الحجاز بسبب تعدد المراكز العلمية وقد أسهمت المراكز بدور كبير في زيادة النشاط العلمي كما أسهمت الرحلة إلى طلب العلم في إنتشار الآراء والمذاهب والأفكار على أيدي طلاب العلم والمتعلمين.[3]

[1]–نوال عبد الرحمن شوابكة ،المرجع السابق،ص33.

[3]– محمد علي فهيم بيومي،المرجع السابق،ص14.

وكانت الرغبة الشخصية في الترحال أو السفر لطلب العلم والمعرفة من أقوى الدوافع للمغربي لزيارات البلاد التي تحقق هدفهم بغض النظر عن الصعوبات التي يمكن أن تصادفهم مثل تحمل طلاب العلم المشقات والترحال إلى مذاكرة الحجاز العلمية والمعرفية،ولم يقف طلب العلم عند التفقه في الدين وعلومه فقط بل كانت هناك رحلات لطلب العلوم الدنيوية أيضا.[1]

4-اسباب رحلات المغاربة الى الحجاز في القرن19م

مع حلول القرن 19م دخل المغرب الأقصى في مرحلة حرجة سواء فيما يتعلق باستقراره السياسي الداخلي أو علاقاته مع الدول الأوربية التي كانت تسعى إلى السيطرة عليه واستعماره ويبدو أنّ الأزمة التي دخل فيها المغرب كانت تؤشر إلى ضعف المخزن في السيطرة على الوضع الداخلي سواء في البوادي أو المدن،وفي الشمال أو الوسط والجنوب والشرق.[2]

وبانهزام المغرب في معركة إيسلي انكشف الأوربيون مدى ضعف وهشاشة المخزن المغربي مما زاد في أطماع الدول الاستعمارية للسيطرة عليه وهو ما تأكد خلال اتفاق طنجة يوم:10 سبتمبر 1844م،فقد فرض الأوربيون على المغرب الانفتاح على الخارج والاعتماد عليه في معاملاته المالية والتجارية.[3]

إنّ الهيمنة الأوربية على المغرب الأقصى كانت لها تداعيات خطيرة على المجتمع المغربي مثل ظاهرة الحماية الأجنبية التي تحولت إلى سلطة جديدة في المناطق الحيوية من المغرب حيث شملت فئات عريضة من المجتمع المغربي.[4]

لقد سعت القوى الاستعمارية إلى الضغط بهدف فتح أسواقه للحركة التجارية الرأسمالية وإلحاقه بالتجارة الأوربية الدولية،وهذا ما حققته إنجلترا مثلا عام 1856م من خلال

---

[1]- نفسه،ص16.

[2]-التهامي الوزاني،**تاريخ المغرب**،ج3،تطوان،1940م،ص157-159.

[3]-أحمد خالد الناصري،**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج9،المصدر السابق ص42.

[4]-عمر أفا،**مسألة النقود تاريخ المغرب في القرن 19م**،منشورات كلية الآداب،أغادير،1988م،ص7.

الاتفاقية التجارية مع المغرب ومن الانعكاسات السلبية لذلك إضعاف النقود المغربية يعني فتح المجال لتداول العملات الأوربية سواء على المستوى الداخلي أو مع الخارج.[1]

إنّ مغرب القرن 19م هو مغرب الأزمة التي طالت كل فئات المجتمع المغربي ففضلا عن إنهيار السلطة المركزية عصفت بالمغرب الأقصى موجة من الفوضى والثورات وهو ما انعكس على المجتمع المغربي من خلال انتشار اللصوصية وقطاع الطرق وانعدام الأمن مما زاد الوضع تأزم الكوارث الطبيعية و البشرية التي أجهزت على عدد كبير من ساكنة المغرب.

إنّ الظروف التي عاشها المغرب الأقصى مع نهاية القرن 19م فتحت المجال للأوربيين ليس فقط الاستقرار والتجارة و إنّما إعداده للسيطرة النهائية وفرض الحماية عليه.

وعلى هذا الأساس فإنّ الأزمة السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب منذ النصف الثاني من القرن 19م كان لها انعكاس أيضا على علماء وأدباء المنطقة الذين شدوا الرحال إلى التوجه نحو المشرق خاصة إلى الحجاز انطلاقا من فاس أو مراكش وبسبب الأحداث والتحولات التي عرفتها المنطقة المغاربية وتحديدا بعد سقوط الجزائر بيد فرنسا عام 1830م فمنذ ذلك التاريخ والرحلة الحجازية تأخذ طريقها عبر البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من طنجة في أغلب الأحيان.

ومما ساعد الحجاج المغاربة اعتماد هذا الطريق البحري التفوق التقني البحري للمراكب الأوربية التي كانت بالنسبة للمغاربة الوسيلة الوحيدة للتوجه إلى المشرق ولذلك فإنّنا نجد في الرحلات المغربية منذ النصف الثاني من القرن19م وصفا دقيقا لهذه المراكب البخارية أو أماكن يسميها المغاربة:"بابور البحر".[2]

بعد هذا العصر لأهم الدوافع و الأسباب الرئيسية للرحلات المغربية نحو الحجاز ونستنتج أنّ الحماس الذي عرفه المغاربة وحبهم للثقافة والانفتاح على العالم والترحال وكانت

[1]- نفسه،ص11.

[2]- مصطفى عبد الله الغاشي،**مغربي في مصر خلال القرن التاسع عشر ميلادي"رحلةالغيغائي"،ندوة للسفر في العالم العربي الإسلامي التواصل والحداثة**،منشورات كلية الآداب،الرباط،2002م،ص85-125.

الدوافع الأولى للسفر والرحلة عند المغاربة هي حاجتهم لشد الرحال نحو مكة لأداء فريضة الحج خاصة مع توسع رقعة العالم الإسلامي،ثم ظهرت الحاجة بعد ذلك لزيارة العلماء و الأولياء الصالحين للأخذ عنهم والتبرك بمعرفتهم كما كانت الرحلة إلى الحجاز نوعا من التكملة لا غنى عنها لتربية طالب العلم وتكوينه الديني والمعرفي كما كانت وسيلة للعالِم للتعريف بعلمه ومهاراته.

وربما ستر الرحالة العرب ومنهم المغاربة عن ذكر الأسباب الحقيقية التي تدفعهم لذلك كالفرار من إحباطات نفسية أو مضايقات سياسية أو خوف من مصير مجهول،كل هذه الأسباب وغيرها يمكن أن تؤسس لفكرة الرحلة.

الفصل الثالث نماذج من الرحلات الحجازية المغاربة خلال القرن 19 م

المبحث الأول:رحلة الغيغائي (1274هـ/1857م)

المبحث الثاني:رحلة إدريس بن عبد الهادي العلوي(1271هـ/1891م):

المبحث الثالث : رحلة أحمد السبعي(1336هـ/1918م):

المبحث الرابع:رحلة محمد بن محمد التامراوي(1285هـ/1868م)

شهدت منطقة المغرب خلال القرن التاسع عشر ميلادي نشاطا مكثفا للرحلات نحو المشرق لغايات مختلفة فقد احتوت كتب الرحلات المغربية على موروث مهم وصفوا فيه مسالك الطرق وصنفوا الأماكن والحيوانات،فالترحال هو الذي جعلهم يتوجهون نحو مكة لأداء فريضة الحج،خاصة مع توسع رقعة العالم الإسلامي لتظهر بعد ذلك رحلات لزيارة العلماء والأولياء الصالحين للأخذ عنهم والتبرك بهم،وهذه الرحلات بعثت لدى أصحابها شعورا مختلفا دفعهم إلى تدوين رحلاتهم إما نثرا أو شعرا وبسبب ما ذكرناه اهتم المغاربة بالرحلات وأبدعوا في الكتابة والوصف والتسجيل ولسنا هنا بصدد تتبع هذا الإسهام الكثير وإنما قصدنا أن نجتزئ منطقة المغرب الأقصى لنتتبع سمة الكتابة الرحيلة عند المغاربة من العلماء والفقهاء الذين تنقلوا إلى الحجاز،لا شك أن عددا كبيرا من الرحالة المغاربة قد اعتمدوا الطريق البحري بمواصفاته الحديثة

المبحث الأول:رحلة الغيغائي (1274هـ/1857م)

1-التعريف بصاحب الرحلة:

صاحب هذه الرحلة هو أبو عبد الله محمد بن مبارك بن علي بن أحمد الغيغائي الأصل الوريكي الدار العمري النسب حسب ما يوجد في مقدمة المخطوط،إلا أننا لا نعرف عنه الشيء الكثير باستثناء المعلومات التي جاءت في متن الرحلة فهو فقيه متوسط الحال إلا أنّه يتوفر على روح مرحة وظل خفيف فهو ينكت ويقدم النصح،ويحظى بعلاقة خاصة مع بعض رموز المخزن وذكر منهم القائد إبراهيم بن سعيد الأجراوي.[1]

وحسب ما ذكره محمد المنوني فإنّ رحلة الغيغائي توجد في نسختين:الأولى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم:98،والثانية بالخزانة الحسينية تحت رقم:10948 وهذه النسخة تقع في 454 صفحة من الحجم المتوسط وقد كُتِب بخط مغربي أندلسي واضح و مقروء.

[1]-عبد الله التازي،**رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية ورحلة**،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ج1،الرياض 2005م،ص509.

2-مسار الرحلة :

جرت أحداث هذه الرحلة مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي وتحديدا عام 1857م،وتعتبر هذه الرحلة حجازية إلا أنّها تتميز عن الرحلات الحجازية التقليدية على مستويات عدة وعلى رأسها الطريق الذي اعتمده الغيغائي للذهاب إلى الحج.[1]

كانت انطلاقة الرحلة من مراكش عبر مدينة الصويرة يوم السبت 3رمضان1224هـ/17 أفريل 1857م باتجاه مدينة طبنجة التي اعتبرت خلال القرن التاسع عشر ميلادي مركز الانطلاقة الفعلية للمتوجهين إلى الشرق ومن مدينة طنجة التي غادرها على ظهر سفينة تجارية عبر جبل طارق حيث استغل سفينة أخرى باتجاه جزيرة مالطا ثم تحول جنوبا باتجاه ميناء الإسكندرية بمصر،ثم ذلك عَبَرَ السويس بالبحر الأحمر إلى مدينة جدة ومنها على مكة المكرمة.[2]

وبعد انتهاء المناسك بمكة المكرمة قرر الرحيل مع رفاقه إلى المدينة المنورة وكان الخروج من باب الوداع وذلك يوم الجمعة 21 من ذي الحجة 1274هـ،وتبدأ المعاناة ومشاكل الطريق،ثم ينتقل إلى الحديث عن المدينة المنورة وقبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولاحظ أنّ المسجد النبوي كان له أربعة أئمة يؤمون الصلاة يمثلون المذاهب الأربعة، بتقدمهم المذهب الحنفي وهو مذهب السلطان،ويليه المذهب الشافعي في بعض الصلوات، وعلى إثر المحادثة السياسية أقصى المذهب المالكي من الإمامة كما صادف وجود إصلاحات مهمة بالمسجد النبوي،وقد نظّم في سفره أول مرة على لسانه قصيدتين:الأولى تدل على ما يقع من السرور للوفود عند رؤية المدينة المنورة ووصف زيارة الروضة المباركة،وما يحصل منها وذكر حالة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره.

ثم الأخيرة صنفها من حيث الخروج من المدينة وتوديع الرسول صلى الله عليه وسلم،وهي في غاية الحُسْن والتركيب،وأنواع المحاسن والألفاظ في الملحون،وهي طويلة نحو ثلاث

[1]-محمد بن عبد الله العتيق،رحلة الغيغائي والولاتي في القرن 19،مجلة العربية ، العد 486،الرياض،2015م،ص12-13.

[2]-عبد الله التازي،المرجع السابق،ص510.

مائة بيت،وقد أُعجب كثيرا بخدم الحرم النبوي من حيث هيأتهم وملبسهم ونظافتهم في عملهم والسهر على توعية الحجاج وإرشادهم.[1]

ويبدو من خلال الطريق الذي استعمله الغيغائي أنّه إلى حد ما فريد لم يسبق لأحد من الرحالة المغاربة اعتماده،والظاهر أنّ ظروف الإبحار بالمتوسط خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي قد تحكمت في ذلك،فقد كان على الحجاج المتوجهين إلى الحجاز اعتماد السفن الأوربية ولم يكن أمامهم خيار آخر،غير ذلك إلا أنّه من المؤكد أنّ طريق رحلة الغيغائي ذهابا و إيابا قد مكنته من المشاهدة أكثر بما يجري بمنطقة البحر الأبيض المتوسط والإطلاع على ما هو عليه الوضع خارج بلده المغرب

وهذا ما جعل الرحلة تزخر بمعلومات بالغة الأهمية تفيد في معرفة تاريخ أحوال بعض المجتمعات المتوسطية وتحديدا مسألة التفاوت بين الضفتين الشمالية والجنوبية.[2]

والغيغائي وهو في طريقه إلى الحجاز لم يغفل أن يسجل الظروف المواكبة للرحلة بالوسائل الحديثة أي السفينة التجارية وجعلوا لهذا البخار الذي يحرك النواعد قادوسا من حديد،فإذا وقف البابور سدوا المنافس المحركة وأطلقوا البخار ليخرج من هذا القادوس فيصعد إلى الهواء.[3]

إلا أنّه وعلى الرغم من وسائل النقل الحديثة فإنّ الغيغائي لم تفتح ملاحظة الظروف الإنسانية التي يتم فيها نقل الحجاج عبر السفن البخارية فهو يذكر بأنّ الشركات الأوربية كانت تستغل الحجاج أبشع استغلال حيث كانوا يوضعون في أماكن تعرض حياتهم للخطر والجوع والأوبئة ويقول:"إذا دخلوا وحصل لهم الضيق ووقع منهم ما ذكرنا تركت الصلاة ولا يصليها إلا نادرا من أجل المزاحمة وكثرة النجاسة،وإن أراد الحاجة في السفينة يمر على الناس يطأ عليهم أو على أمتعتهم ولا يتركونه أن يصعد إلى محل القضاء

[1]-محمد بن عبد الله العتيق، المرجع السابق، ص 30-32.

[2]-مصطفى عبد الله الغاشي، المرجع السابق، ص93.

[3]- نفسه،ص94.

ودفعوه ورموه على وجهه فلا رأفة ولا شفقة ويندم ويرجع أو يصيح ويبكي...ولا تجد كيف تقضي حاجة الإنسان إلا بالمشقة العظيمة وإزالة الحياء.[1]

وبالنظر إلى هذه المعاناة فإنّ الغيغائي يوصي المتوجهين إلى الحج بالركوب في الدرجة الممتازة التي يطلق عليها "**القامرة**"[2]كراء القمرة ثلاثون ريالا لكل نفس والكراء بغير القمرة بثمانية عشر والقمرة من البابور بمثابة القبة الزاهية من السيث..."

أما في طريق العودة بعد زيارة المدينة المنورة توجه الغيغائي إلى السويس ثم الإسكندرية ثم إلى مالطا ثم عاد مرة ثانية إلى الإسكندرية ومنها إلى إيطاليا ثم مرسليه بفرنسا ثم إسبانيا عبر برشلونة والكانطي و الميرمية ومالقه ثم جبل طارق فطنجة ليأخذ طريقه البري عبر العرائش وسلا والرباط والبيضاء ثم مراكش فقريته وأريكة.[3]

هذه رحلة فقيه لم يكن على إلمام بالعلوم العقلية والنقلية حتى يتمكن من تدوين ما يتعلق بالجانب المعرفي وأعلام الفقيه والعقيدة الذين كانوا يدرسون بالمسجد النبوي الشريف،ولهذا تخلو رحلته من ذكر ذلك وهو يذكر استطرادات فقهية مفيدة طوال تنقله في منى وعرفات ومزدلفة.[4]

[1]-عبد الله التازي،المرجع السابق،ص511-512.

[2]-كلمة إسبانية_ camara يعنى بها المكان الممتاز من المركب،أنظر :نفسه،ص509.

[3]-مصطفى عبد الله الغاشي، المرجع السابق، ص97.

[4]-محمد بن عبد الله العتيق، المرجع السابق، ص 35-36.

المبحث الثاني:رحلة إدريس بن عبد الهادي العلوي(1271هـ/1891م):

1-التعريف بصاحب الرحلة:

هي رحلة لأبي العلا المولى إدريس المشهور بذكر والده ابن عبد الهادي بن عبد الله التهامي الحسني العلوي الشاكري وقد كانت رحلته في جمادى الأولى عام 1271هـ/ الموافق ل1891م.

أما وفاته كانت عام 1329هـ/1911م[1].

2- مسار الرحلة:

هي رحلة حجازية شهيرة وبارزة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتوجد منها مخطوطة بالخزانة بالرباط.

واعتمادا على نص الرحلة فإنّ انطلاقها كان من مدينة فاس متوجها إلى مدينة طنجة مرورا بالعرائش وقد قضى في مدينة طنجة مدة أربعة أيام في ضيافة القائد محمد الجبور،ويذكر الشاكري بعد ذلك خروجه من مدينة طنجة بأنحاء جبل طارق كان يوم الاثنين في الساعة الثانية عشر من النهار الثامن عشر من رمضان 1277هـ/1891م على متن البابور[2].

وقد كان وصوله إلى مرسى جبل طارق في الساعة الرابعة من النهار حيث نزل في ضيافة القونصو الحاج سعيد جَسُّوس وكان خروجه من جبل طارق ليلة الثلاثاء في الساعة الثانية عشر ليلا ركب في البابور الذي قَدَمَ وصفا دقيقا عنه ولما يحتويه من قاطرات وفرش وحمّامات ومحلات الأكل بالإضافة إلى نظام الوجبات.

وقد استغرق سفر الباخرة باتجاه جزيرة مالطا كما يذكر الشاكري980ميلا ورست بعدها بميناء مالطا وذلك على الساعة العاشرة ليلة الأحد الثاني عشر من شوال،ثم بعد ذلك

[1]- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ط1 دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص131.

[2]- محمد المنوني،المصادر العربية لتاريخ المغرب،ج2، مطابع فضالة، المحمدية، 1989، ص235.

توجهت الباخرة إلى مدينة الإسكندرية التي حلّ بها الركب يوم الأربعاء الخامس عشر شوال وذلك على الساعة الثالثة نهارا[1].

وقد وصل الشاكري إلى المدينة المنورة قبل فجر يوم الجمعة بساعة ونصف في الخامس عشر من ذي القعدة،أما خروجه من المدينة باتجاه مكة المكرمة فقد كان يوم السبت الثالث عشر من ذي القعدة عقب صلاة الظهر وقد مر المركب بعدة بلدان منها:يوضع،بير مبروك،رابع،وعسفان،وكان الوصول إلى مكة يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة.وبما أنّ التنقل إلى الحجاز يتم عبر وسائل حديثة كالبابور فإنّ الشاكري هو الآخر لم يغفل تقديم وصف هذا الإنجاز الجديد والغريب بالنسبة لمغاربة القرن التاسع عشر ميلادي.

ويخبرنا السنوسي أنّ الشيخ عبد الهادي قَدِمَ إلى المدينة مع الركب الشامي ولكنّه عاد بمعية الركب المصري و أنّه لما بلغ مصر وصلته المكاتيب بتعينه قاضيا بحضرة فاس،وقد أدركه أجله في المدينة المنورة في رحلة لاحقة سنة 1329هـ/1911م.

وكان معه فيها أبي عبد الله محمد الصديق الأمراني رفيقه في الحج،وهو الذي كان معه حتى أقبر.[2]

وقد قرأنا عند تصفح الرحلة المذكورة:{{وسرنا من السويس إلى ينبوع البحر أربعة مائة ميلا وثمانين ميلا ووصلنا إلى ينبوع البحر يوم الأحد الرابع من ذي القعدة الحرام 10 مارس 1867م،ونزلنا بدار الشيخ إبراهيم عواد،وهو القاضي وقتئذ على شاطئ البحر ونعمه البلدة،ومازالت بها المآثر الأولى...وخرجنا من ينبوع البحر بعدما أقمنا به خمسة أيام في انتظار الإبل،وكان في الركب خمسة مائة نفر...}}وبعد أن يتحدث عن مشكلات

[1]- الحاج صدوق، المرجع السابق، ص95.

[2]-محمد بن عثمان السنوسي،الرحلة الحجازية ،ج3،،الشركة التونسية للتوزيع،1981م، ص 106-108.

الأمن ومضايقات اللصوص وقُطّاع الطرق يعلن عن فرحته عندما وصلوا سالمين مسرورين فائزين غانمين لله الحمد والشكر.[1]

كما ورد أيضا:{{ومن الغد توجهنا وهو يوم التروية بمنى وبتنا بها ،ثم بعد طلوع الشمس توجهنا لمسجد نمرة وصلينا بها الظهر والعصر جمعا،ثم توجهنا للموقف ودفعنا منه بعد غروب الشمس وبتنا بمزدلفة وأخذنا منها الحصيات السبع...ودعونا الله بالمشعر الحرام إلى الإسفار،ثم توجهنا لمنى ثم ذهبنا لرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ثم نحرنا ثم حلقنا ثم توجهنا لمنى،ثم ذهبنا لمكة شرفها الله وطفنا طواف الإفاضة ثم رجعنا إلى منى وأقمنا بها إلى آخر أيام التشريق ونفرنا بعد رمي الجِمار وصلينا الظهر بمسجد"إنا أعطيناك الكوثر"ونزلنا بالمحصب وتركنا وتبركنا بمسجد الإجابة هناك،وفي يوم النفر الأول تبركنا بمآثر منى وأولها مسجد العشرة وهو المعروف ببيعة العقبة وكان ذلك بحضور الفقيه النزيه سيدي عبد الرحمان الحريري...ثم تبركنا بمقام الخليل وطفنا طواف الوداع وسافرنا ليلة الأحد السادس عشر من ذي الحجة الحرام.}}[2]

تعتبر هذه الرحلة مصدر من مصادر الكتابة التاريخية في المغرب، من خلال القيمة التاريخية والدينية التي تقدمها حول طريق الحج البحري من فاس إلى مكة، وإعطائنا فكرة حول الظروف التي كان يعيشها الحاج المغربي طوال فترة مسيره نحو البقاع المقدسة، كما تبرز الصعوبات والمشاكل التي تواجه الحاج في طريقه إلى مكة، فنجد إدريس بن عبد الهادي الشاكري يذكر بعضها ومنها: قطاع الطرق وطول الطريق وصعوبته، بالإضافة إلى شرحه لنا مسالك ومناسك الحج وفرائضه وسننه، التي تساعد الحاج لذا تعتبر رحلة من أهم الرحلات الحجازية[3].

[1]-عبد الهادي التازي،المرجع السابق،ص574.

[2]- نفسه،ص574-564.

[3]- نفسه، ص564.

المبحث الثالث : رحلة أحمد السبعي(1336هـ/1918م):

1-التعريف بصاحب الرحلة:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن العمراني الحسني السبعي نسبه إلى دويرة السبع سجلماسة {تافيلالت}ولد بمغر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي وعاش بفاس يعتبر من علماء ومتصوفة هذه المدينة{الطريقة الدرقاوية}وقد كتبها مؤلفها عن حجَّته سنة 1310هـ/1893م وتوجد الرحلة بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط.[1]

2-مسار الرحلة:

رحل إلى الشرق عام1310هـ/1893م بهدف الحج وكان خروجه من دويرة السبع يوم 09 شوال من نفس العام معابرا زواية تلسينت وأهل الزوار والأصلاف،وقلعيه إلى أن وصل إلى ملكييه.

بعد ذلك توجه الركب بحرا إلى مدينة طنجة باعتبارها نقطة انطلاق السفن المتجهة إلى مصر ويذكر السبعي بأنّ المركب غادر ميناء طنجة يوم السبت أول ذي القعدة في رحلة بحرية طويلة عبر خلالها السواحل المغاربية ثم مالطا ومنها إلى الإسكندرية وصولا إلى الإسماعيلية ثم السويس حيث عبر الركب البحر الأحمر حتى ميناء جدة.

وغادر السبعي مدينة جدة على ظهر الإبل في اتجاه مكة حيث دخلها يوم الاثنين 20 ذي القعدة،وبذلك كما يذكر فقد مرت على رحلتهم اثنين وأربعين يوما أي منذ مغادرته لبلدته وحتى وصل إلى مكة المكرمة.[2]

خص السبعي مرحلة قضاء المناسك بوصف دقيق بدء بالأحرام حيث يذكر بعد وصوله إلى مكة المكرمة طافوا طواف القدوم وسعوا وكان الوقت شديد الحر ورأى بعض الطلبة يجتمعون حول فقيه وبيد كل واحد منهم كتاب يتذكر معهم في مناسك الحج فيه وصليت بالمسجد الحرام ولاحظ السبعي أنّ الإمام قرأ سورة الفاتحة عوض "ملك يوم الدين" كما

[1] -محمد حجي،المرجع السابق،ص133.

[2] -عبد الهادي التازي،المرجع السابق،ص566.

يتلوها المغاربة "مالك" بإثبات الألف وقال:"في يوم الخميس أول الشهر من ذي الحجة الموافق ل:15 جوان ألبسوا الكعبة المشرفة كتانا أبيض فوق غطائها المعهود نحو الربع من أسفلها،وعند المساء أوقدوا المصابيح الكثيرة في كل صومعة من الصومع وهي سبع...واستمر ذلك الضوء من أول ليلة أي ليلة الجمعة إلى أواخرها ويعود إلى وصف المسجد الحرام على هذا المعهود التي يتسابق إليها الناس يوم الجمعة ثلاثة صفوف من السواري،في كل صف مئة وعشرين سارية ويذكر ما لحق ببعض الرفقة من إصابات أدت إلى استشهادهم ولاحظ تعدد اللغات في أوساط الحجاج والسبعي في هذه الأثناء لم ينس ما يتعرض له الحجاج أحيانا من نهب وسرقة وقطع طريق من طرف فجار تلك النواحي.[1]

ويعتذر عن الانتقال لعرفة في النهار لشدة الحر لذلك وصلوها ليلا في صباح يوم الجمعة وهو التاسع الواقع فيه الموسم وبعد المغرب نفروا إلى مزدلفة حيث يحكي عما واجهه من المشقة إلى الوصول إلى منى من بين الجبال ولم يرموا الجمرة إلا بعد العصر وبمشقة شديدة،وفي يوم الثلاثاء الذي هو آخر أيام التشريق قام بطواف الإفاضة إلى ذلك لاحظ قلة الحمالين الذين ينقلون الحجاج إلى خارج مكة إلى المدينة المنورة حيث الروضة النبوية الشريفة معددا المقامات التي زارها خاصة المساجد والمقابر والمشاهد[2].

وبعد أداء مناسك الحج توجه السبعي إلى المدينة المنورة ومنها توجه إلى السويس بحرا ثم خرج في مركب آخر عبر النيل إلى الإسكندرية ومن هذه المدينة توجه السبعي عبر الركب الآخر إلى الجزائر ومنه برا إلى المغرب إلى بلدة تسمى سعيدة وتوجه بعدها إلى بلدته دويرة السبع.[3]

تعتبر رحلة أحمد السبعي من أهم الرحلات العربية إلى مكة المكرمة، او بمثابة دليل للحاج الذي يمكنه أن يستعين عليها في سفره، والأخذ من تجارب أحمد السبعي، نظرا

[1] _عبد الهادي التازي،المرجع السابق ص566-567.

[2] _ نفسه، ص569-571.

[3] -الحاج صدوق، المرجع السابق، ص97.

لوصفه الدقيق لمسيرة الحاج بحيث بدأ تحرير رحلته منذ دخوله إلى مكة المكرمة وأداءه فريضة الحج كما وصف مناسك وفرائض وسنن الحج، بالرغم من أن رحلته عبارة عن نثر إلى أنها كانت زاخرة بمعلومات الهامة عن الحج، وما على الحاج أن يقوم بها، عند وصوله إلى الحجاز، كما لها قيمة تاريخية دينية[1]

المبحث الرابع:رحلة محمد بن محمد التامراوي(1285هـ/1868م)

1-التعريف بصاحب الرحلة:

هو محمد بن محمد التامراوي علّامة كبير من سنوس،حجّ واستورد كتب كثيرة من المشرق خاصة ويتوفر على إجازات من العلماء المشارقة، توفي نحو سنة 1285هـ /1868م.[2]

2-مسار الرحلة:

رحل التامراوي لأداء مناسك الحج يوم الخميس 24 شعبان1442 وعاد إلى بلده يوم الاثنين 09 شعبان 1243،وهذ الرحلة لخصها محمد المختار السوسي وأوردها في الجزء الثامن من المعسول ورغم أنّ رحلته المدونة موجزة في سبعة عشر صفحة.

وقد بدأ المؤلف تحرير الرحلة وهو يستعد للسفر ويظهر ذلك في قوله:{{...نسأل الله اللطف وإعانة في جميع الأحوال والإخلاص والتوفيق والكمال فما أنا بصدده من السفر أداء فريضة الحج بتوفيق من الله...اللهم لا تحرمني من زيارة قبره والتسليم على صاحبيه فذلك غاية أملي...}}[3]

ويمكن أن نقسم رحلته إلى ستة مراحل هي:

-**المرحلة الأولى:** انطلاق الرحلة حيث وصف الكاتب استعداده للسفر لأداء الفريضة ثم انطلق ركب الحجاج السوسين ويوفر التامراوي معلومات هامة عن مسار ركب الحجيج في القرن 13هـ وانقسامه إلى ركب بري وركب بحري وقد انطلق الفقيه التامراوي من مسقط رأسه تامرا ليلتقي مع بقية الحجاج ثم انطلقوا هشتوكة حيث اجتمعوا بحجاجها

[1] عبد الهادي، التازي، المرجع السابق، ص571.

[2] -محمد المختار السوسي،المعسول، ج8،مطبعة النجاح،الدار البيضاء،1962م، ص197.

[3] - نفسه،ص 198-214.

وحجاج المناطق المجاورة ثم إلى أغادير ليتوجهوا بعد ذلك لكوب البحر من مرسى الصويرة.

-**المرحلة الثانية**:تعذر السفر للزوم إذن السلطان في هذا القسم تحدث التامراوي عن وصول الركب إلى مرسى الصويرة وتعذر السفر لعدم اتساع السفينة لحمل الحجاج الحاضرين بالمرسى ولما توفرت السفينة تعذر السفر لعدم الأمان بالبحر وضرورة الحصول على إذن السفر من السلطات فأوفد الحجاج التامراوي مع زميله إبراهيم الهشتوكي لمقابلة السلطان عبد الرحمان بن هشام وطلب منه الإذن وبعد أن تم لهما ذلك رجعا إلى الصويرة و انطلاقا منها مع الحجاج بحرا إلى الإسكندرية.

-**المرحلة الثالثة**:رحلة البحر حيث تحدث التامراوي في هذه المرحلة عما أصاب الحجاج من أهوال باضطرابات كادت تودي بحياتهم قال واصفا:{{فلما نهضت السفينة وسارت في ريح رديئة شرقية{{ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد}}الحج/02.لا تسمع إلا الأنين و الوجع لا طاقة لأحد على الجلوس والتكلم إلا نادرا وقد أدركني الوقت في سطحها ورفقائي تحت السقف ليلة الأربعاء فلم يكن النزول إليهم ولا يمكنهم الوصول إليّ،فلا أحد يسأل عن أحد ودامت الريح الشرقية أياما.}}[1]

ترى الأمواج تتلاطم في سطح السفينة وجاءنا الموج من كل مكان حتى ظننا أنّه أحيط بنا فطفق الناس بالتضرع إلى الله تعالى فَمَنَ علينا بلطفه بعد الشدة العظيمة التي لا يعرفها إلا من عاشها فليس الخبر كالعيان.

-**المرحلة الرابعة:الوصول إلى مصر والحجاز**

وصل ركب الحجاج السوسين مصر بعد رحلة بحرية دامت حوالي أربعين يوما من 25 رمضان حتى 05 من ذي القعدة عام 1242هـ ونزلوا بولاق للاستعداد للرحيل إلى الحجاز

[1]-محمد المختار السوسي، المصدر السابق،ص200.

برا بعد أن وجدوا الركب المصري سافر منذ 15 يوما وقد وصف التامراوي رحلته رحلة الركب خلال شبه جزيرة سيناء للوصول إلى ينبع ومنه بحرا إلى جدة.

-المرحلة الخامسة:الوصول إلى الحجاز

خص التامراوي مرحلة قضاء المناسك بوصف دقيق بدءًا من الإحرام ثم زيارة المدينة حيث الروضة النبوية الشريفة معددا المقامات التي زارها خاصة المساجد والمقابر والمشاهد مشيرا إلى بعض القضايا الفقهية التي أثارت انتباهه.

-المرحلة السادسة:رحلة العودة:

بعد أن قضى الحجاج مناسكهم عادوا إلى المغرب،ويظهر أن التامراوي فضّل الرحلة البرية متجنبا ركوب البحر بعد أن ذاق أهواله في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط والأحمر غير أنّ البر لم يكن أكثر أمنا من البحر،فقد تعرض ركب الحجيج لهجمة الأغراب قرب مدينة قابس ووقع القتال بينهما فانهزم الحجيج وسلبت أموالهم قال التامراوي عن ذلك:{{أصابتنا مصيبة داهية عظيمة يوم السبت 11 من شهر ربيع الثاني 1243هـ في موضع بتنا فيه ليلة السبت فألتم علينا الأغراب فوقع القتال بينهم وبين الحجاج وبالتالي كانت الهزيمة من نصب الحجاج،ونهبت أموالنا ونهبت حتى جمالنا سوى بعض الدراهم كانت قد بقيت عند رفيقي الحاج محمد المزواري الذي كان يحمي على جمله بسلاحه ،سرت ولحقت بآخر الناس وشكرت الله لما عصمني منهم من شرهم وبعد ساعات وصلوا إلى موضع الزاوية فأغثنا وتخاصموا مع الأعراب حتى ردوا لهم جميع الأموال المنهوبة ولم يبق منها شيء...}}[1]

تابع التامراوي بعد هذا الحادث وصف دخوله إلى تونس فالجزائر ثم المغرب بوجدة فتازت ثم فاس والرباط إلى مراكش ثم ختم رحلته بالإشارة إلى وصوله إلى مسقط رأسه و حمد الله على إكرامه بالحج.

[1]- محمد المختار السوسي، المصدر السابق،ص213-216.

ومن خلال استعراض مراحل التامراوي تجلت اهتماماته بوصف المظاهر الطبيعية والثقافية للبلاد التي زارها وتجلى ذلك فيما يلي:

أ-الوصف الجغرافي:

تم فيه وصف الرحلات المغربية إلى المشرق كما اهتموا بوصف الجغرافي للأماكن التي مروا بها[1] فوصفوا بذلك طرق الجبال والسهول والبحار والجزر كما اهتم بالمدن والقرى وركزا على أماكن وجود المياه ولم يغفل التعرض لأحوال الجو برا وبحرا خاصة غزارة الأمطار وشدة الحرارة وقد اعتمد في ذلك كله على المعاينة.[2]

ب-العناية بالضبط التاريخي:

اهتم التامراوي بضبط تاريخ رحلته منذ انطلاقه من بلده إلى أن عاد إليه وقد ساعده على ذلك إقدامه على تسجيل كل مرحلة في إبانها مما يتيح للدارس معرفة زمن مراحل الرحلة وزمن المناسك...وغير ذلك وهذا ما لا يتوفر في أغلب الرحلات التي يعتمد فيها أصحابها على الذاكرة فيتم تسجيل الأحداث و إغفال التواريخ.

ج-بروز ثقافة المؤلف وفكره:

من خلال هاته الرحلة تكونت ثقافة وفكر المؤلف التي يسند عليها في ثلاثة مكونات وهي:

-المكون العلمي:

كان التامراوي عالما مهتما بالتحصيل حريصا على ذكر علماء المدن التي مر بها خاصة إن كانوا من الأعلام وعلى الاستفادة ممن يلقاهم من أقرانه والحصول على إجازاتهم[3].

[1]-عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص77.

[2]-محمد المختار السوسي،المصدر السابق ،ص201.

[3]- نفسه،ص197-200.

وقذ ذكر أنه حصل على إجازتين الأول من محمد بن أحمد الو لتيني السويسي نزيل الصويرة،والثانية من شيخه أبي عبد الله محمد الحبيب بن عبد القادر نزيل المدينة المنورة الذي تتلمذ عنده التامراوي قبل رحيله إلى المشرق

-المكون الصوفي:

كان التامراوي مهتما كثيرا بزيارة أضرحة الأولياء والصلحاء أينما حلّ منذ انطلاق رحلته وحتى رجوعه حيث بدأ في زيارة صلحاء بلده ثم ثنى بضريح سيدي مزال بهتشوكة وزار قبور الرجال السبعة بمراكش وغيرهم،حتى أنّ قارئ رحلته يشعر أن ذلك هدفه من الرحلة لأداء مناسك الحج.[1]

-المكون الفقهي:

كان التامراوي أحد فقهاء سوس البارزين في زمنه ومحور النوازل في بلده فلا عجب إذا برز المكون الفقهي في وصفه لأداء مناسك الحج وحرصه على الإتيان بها حسب اجتهادات علماء المذهب المالكي مخالفا الأئمة المكيين الأحناف مذهبا و من المسائل الفقهية التي تعرّض لها الجمع بين الظهرين يوم عرفة قصرا قال:{{...سرت إلى مسجد نمرة للصلاة...فصلينا الظهرين بالجمع في أول الزوال بعد خطبة الإمام صلى الإمام بالناس بالكمال من غير قصر وهو حنفي فلما رأيت ذلك علمت أنه غير مالكي إذا السنة عندنا الجمع و القصر لغير أهل عرفة...}}

ومسألة وقت الوقوف الذي يمتد عند المالكية التي تحقق الغروب قال التامراوي:{{...اندفع الناس بعد الغروب،وبقيت واقفا مع بعض أهل المغرب إلى أن نزل الإمام ومر علينا ومكثت يسيرا بعده،حتى تحقق الوقوف هنيهة بعد الغروب الذي هو الركن عندنا والوقوف نهارا ليس بركن بل واجب ينجبر بالدم عندنا.}}[2]

[1] – محمد المختار السوسي، المصدر السابق،ص204

[2] – نفسه،ص205.

ولا تبرز شخصية المؤلف من خلال المكونات فحسب بل كذلك من خلال بعض الملاحظات التي لم يفتأ يسجلها حول الطرق التي مر بها إذ تحضر شخصية الفقيه المرشد الناصح ويبرز الهدف الأساسي من الرحلة وهو إفادة المقبلين على السفر للحج وبيان ما يجب تبينه وما يجب الحرص عليه من ذلك قوله متحدثا عن الماء في بعض المناطق:{{...وماء جعوض رديء مالح يضر الحجاج ويقتلهم على ما قيل وجرب فلا تشرب منه ومن أراد أن يشتريه في مدينة السوس إذا أراد الدخول فلا يشتره وليسأل عن الماء الطيب الذي يؤتى به من الجبال ثم قوله معلقا على تجارة المسك ناصحا لضرورة حفظه وقد وجه الخِطاب مباشرة للقارئ:{{وجدة حاضرة بساحل قرب مكة...ومنها يخرج المسك...ويشتريه الحجاج كثيرا لخفته ويفسده الماء وعليك بحفظه إن اشتريته وتضر رائحته البهائم في زمان الحر وكذا الناس.[1]

كما سجل المؤلف بعض العادات الاجتماعية والمظاهر التي أثارت انتباهه في البيئات التي زارها ومن المظاهر التي وصفها أشار إليها:{{عادة تدخين التبغ وانتشارها في المشرق.[2]

ظاهرة التفاخر بين أمراء مصر والشام عند الوقوف من عرفة قال:{{فسرنا إلى مزدلفة في زحام عظيم وفرح كثير،وطفق الأمراء في إخراج المدافع والأنقاض وقد كان افتخار بين أمراء مصر والشام بالقوة والشدة وكثرة العدد والأموال إلا أنّ الشامي أكثر قوة وعددا ومالا ومدافعا وأحنى على مساكين الحجاج أخذوا في إخراج المدافع إلى مزدلفة...}}

أما من حيث المصادر فقد اعتمد التامراوي على المشاهدة والمعاينة وكل الرواية الشفوية في وصف بعض الأماكن التي لم يصل إليها في طريقه فسأل عنها من زارها من الحجاج

[1] – محمد المختار السوسي، المصدر السابق،ص203.

[2] – نفسه،ص209.

الذين رافقوه،كما اعتمد على الرحلة الحجازية لأحمد بن محمد الحضيكي فكان ينقل منها بعض الفوائد ويقارن ما فيها من وصف المدخل والمسافات بما شاهده بنفسه في سفره.[1]

تكمن أهمية هذه الرحلة أنها حافلة بإفادات متعددة عن المناحي التاريخية الإجتماعية والإقتصادية وبعض القضايا الفقهية والعقائدية وغير ذلك، للأقطار التي مر بها في طريقه إلى مكة كما فصل فيها معاناة الحجاج المغاربة الشديدة من وسائل النقل وأحوال الجو ومعاملة الناس ونستنتج، أن رحلة محمد التامراوي من أهم الرحلات التاريخية العلمية الدينية[2].

وفي الأخير يمكن القول أنّ الرحلة المغربية خلال القرن التاسع عشر عرفت نشاطا مكثفا للرحلات نحو الشرق واختلفت من حيث الغرض والهدف والوسيلة،وكانت الرحلات الأكثر شيوعا هي الرحلة الحجازية وهذا للتعلق الكبير بالبقاع المقدسة لتليها الأنواع الأخرى للرحلات كما يبرز الاختلاف من خلال كتاباتهم للرحلة،فمنهم من كتبها على شكل شعر فصيح أو ملحون،ومنهم من كتبها على شكل نثر،ومنهم من جمع بين الاثنين،كما أنّ الرحالة قد استعان بالطريق إما البري أو البحري لبلوغ الوجهة المراد الوصول إليها،كما لا ننسى أنّ الرحلات لم تكن حكرا على المغاربة فقط و إنّما تعدتها إلى غيرهم وكما قلنا آنفا أن الأهداف والأغراض من الرحلة نحو المشرق اختلفت من رحالة لآخر.

[1]- نفسه،ص ص202-205.

[2] محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ص214.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الرحلة الحجازية للمغرب الأقصى خلال القرن 19م توصلنا إلى جملة من النتائج نستخلصها في العناصر التالية:

-لقد كانت الرحلة عونا كبيرا باعتبارها من أهم المصادر المحلية بتأكيدها الوقائع عن طريق المشاهدة والمعاينة،فساهم بذلك الرحالة المغاربة في توسيع مداركنا حول مجتمعات المشرق عامة والحجاز خاصة بفضل ما أوردوه من معلومات عن طريق مجاورتهم للعلماء و أصحاب المعرفة وتقلبات أحوالها.

-عند زاد الإقبال على الرحلة تعددت الدوافع واختلفت الأغراض وظهرت العديد من الرحلات التي اختلفت من حيث النوع والغاية إلا أنّ الوجهة واحدة.

-الرحلة صنف تأليفي اهتم الرحالة بكتابة ما رآه وما عاشه من خلال مسار رحلته وهذا النوع من الرحلة يسمى بأدب الرحلة التي لم يتم ضبط سماته ومعالمه سائر فنون الأدب حتى الآن رغم وجود اجتهادات حثيثة هنا وهناك.

-عرف تدوين الرحلة تطورا منذ ظهور هذا النوع من التأليف الذي حمل مرادفات عن هذا التدوين والذي تطور وأصبح يسمى أدب الرحلة.

-من الرحلات التي عرفت إقبالا واسعا لدى الرحالة المغاربة هي الرحلة الحجازية وبرز ذلك من خلال شعور الشوق والحنين للبقاع المقدسة وزيارة قبر المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا ما ميز رحلة الرحالة المغاربة منذ أن عرف المغاربة المسلمين الحج..

-أثبت الرحالة المغاربة براعة كبيرة في طرح معارفهم العلمية بأسلوب شيق،فتنوعت اهتماماتهم بين وصف العلماء ومميزاتهم ومعتقداتهم البينية وقدراتهم دون أن يغفلوا جوانب حركة النشاط الثقافي في المشرق العربي عامة والحجاز خاصة وصعوبة المسالك ومخاطرها.

-اتصفت معطيات رحالة القرن التاسع عشر ميلادي بأنّها كانت سردية ووصفية عامة تعزوها الدقة في إعطاء معلومات حول مضمون وشكل الاجازات العلمية،في حين رحالة القرن الذي سبقوه يوردون نص الإجازة كاملا.

-ساهمت نصوص الرحلة في إبراز شكل المجالس العلمية المنعقدة في المساجد والمدارس كما أفادت بأنّ مكة والمدينة كانتا فضاء يرتاده العلماء على اختلاف مشاربهم،أما عن شكل المواضيع المطروحة في هذه المجالس فلم تخرج في معظمها من دائرة العلوم الشرعية والفقهية في بلاد الحجاز.

-أتاحت مؤلفات الرحالة التعرف على كوكبة من علماء المغرب الأقصى و منطقة الحجاز وطرق التوصل الثقافي والفكري بينهم ويبدو أنّ مساجد مكة المكرمة و المدينة المنورة ودور رجال العلم كانت المراكز الأساسية لهذا الاحتكاك.

-يتبين من خلال نصوص الرحالة أنّ أبرز المراكز العلمية والدينية في بلاد الحجاز في الفترة المدروسة كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة يكثر النشاط فيهما وخاصة في موسم الحج، ويلاحظ اهتمام رجال العلم المغاربة الذين هاجروا إلى الحجاز على طلب الإجازات من علماء بلاد الحجاز كما قدم الرحالة المغربي إيجازات لعلماء الحجاز خاصة ومنطقة المشرق عامة.

-كان النشاط العلمي والديني أحد أهم مظاهر التواصل بين بلدان المغرب الأقصى و بلد الحجاز خلال الفترة المدروسة وكان الرحالة المغربي سفير لبلده في مجتمعات الحجاز.

-أما عن الجانب الثقافي فنستطيع القول أنّه لا يوجد أي فروقات أو اختلافات بين دول المغرب ومنطقة الحجاز و ظل التشابه والتوافق مستمر طيلة هذا العهد،لكن مع أسبقية علمية لمنطقة الحجاز خاصة بوجود الأماكن المقدسة كمكة المكرمة والمدينة المنورة وهذا ما أدى إلى توافد كبير لعلماء المغرب الأقصى على منطقة الحجاز في القرن التاسع عشر ميلادي.

ولا ننسى الوسيلة التي اعتمدها الرحالة في طريقه إلى المشرق سواء الاعتماد على القوافل من خلال البر أو عن طريق السفن من خلال البحر.

و في الأخير يمكن القول أنّ موضوع الرحلة موضوع شيق لكل من يريد الخوض في الدراسة المعمقة والتوسع فيه.

الملاحق

الملحق رقم :01

احدى صفحات مخطوطة رحلة الغيغائي

المصدر : عبد الهادي التازي،المرجع السابق،ص509.

لحق رقم: 02

دى صفحات مخطوطة رحلة ابن عبد الهادي الشاكري

المصدر : عبد الهادي التازي ،المرجع السابق، ص565.

حق رقم: 03

ف الشاكري لوسيلة البابور في تنقله الى الحجاز

وخرجنا من جبل الطريق ليلة الثلاثاء في الساعة الثانية عشر من الليل وركبنا في بابور الدولة المذكورة سابقاً (الإلجليز) من المحل المذكور سابقاً (أي جبل طارق) غير أنه أكبر من الأول، وركبنا في البكيط المسمى باليوتة في الساعة الواحدة وربع من الليل ونزلت في قامرة مشتملة على فرش أربعة وثلاث مرآت وثمانية غراريف للماء العذب وأربع طاصات وكل واحدة عليها آنية بديع خطوات أزرق كأنها رخام وفوق كل واحدة آنية للشيف الصابُّون وبإزاء كل اثنين كما مرفعان في كل واحد كأس وحجر بديع للصابون وعلى رأس كل آنية زيف معلق وبكل قامرة مرفع وحيوط مشبكة لوضع الحاجات وبها سرحب مشرف على البحر تربيعة ثلاثة أشبار وبها محسبان من بديع كراؤها واصلاً الإسكندرية سبعون إبرة ونزل أصحابي بالسكندة وكراؤها واصلاً الإسكندرية بخمسين ابرة وفي مقابلة كل قامرة أخرى وبينهما مستراح وباب يسد على الجميع وعدد قامرات البكيط ثمانية وستون وبين كل اثنين مستراح وفي الوسط حمامات ثلاثة وفي وسطهم مطهرات ثلاثة وعدد سكندات ثمانية وأواني تناسبها في كل واحدة فرش ثمانية وأواني وفي مؤخره محل للأكل به إثنا عشر شلية كل واحدة تسع جلستين وبين كل اثنين شلية صغيرة ست في هذه الناحية وست في الناحية الأخرى وطبلة الأكل بينهما عليها خمسون وكؤوس خمسون ومعاليق ومتكات مالنان وجناو خمسون والمعاليق من ست عينات في هذه الناحية مثل ذلك في الناحية الأخرى وابتداء الأكل بعد طلوع الشمس بنحو ساعة وبعد الفراغ تجمع الأواني وتوضع في محلها في أقل مدة مع كثرتها ويتكرر الأكل في اليوم خمس مرات والفراغ بعد الغروب بساعة وفي وسطه طبلة كبيرة والأخرى صغيرة لها شليات كبيرات في كل ناحية ثلاثة عليها غطران نحو الثلاثين وكؤوس كذلك ومعاليق ومتكات وجناو نحو الثلاثين وبالسكندة طبلة كبيرة وبها ما يناسبها من كل شيء وفي أوله محل مبيت البحرية وعلى ظهر البكيرطة محل الرئيس ومحل الكتاب وكوزتان ومحلات للمعجين ومحال ثلاثة لوضع اللحم وبها بقرات للحليب خمسة وثيران وحوالة نحو الأربعين وأقفزة الدجاج والبرك وبعض البصيد ميت وكل ما يحتاج إليه الإنسان من الخضر والعقاقير والفواكه

المصدر : التفاعل الثقافي ،المرجع السابق ،ص34.

الملحق رقم: 04

احدى صفحات مخطوطة رحلة السبعي

المصدر :عبد الهادي التازي، المرجع السابق ،ص 572.

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

السنة.

المصادر:

1- الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين،الجزء السادس ،دار الغد العربي، القاهرة 1987م.

2- الغساني محمد الأندلسي،رحلة الوزير في افتكاك الأسير،تحقيق نوري الجداح،دار السويدي للنشر التوزيع،أبو ظبي،2002م.

3-القزويني،آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر،بيروت،1960م.

4- المسعودي أبو الحسن علي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،الجزء الأولى ،تحقيق محمد اللخام،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2000م.

5- المقدسي محمد بن أحمد،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،الطبعة الثانية،مكتبة المد بولي،القاهرة.

6- المقري أحمد،الرحلة إلى المشرق والمغرب،تحقيق محمد بم معمر،مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004م.

7-المكناسي محمد بن عثمان،الإكسير في فكاك الأسير،تحقيق محمد الفاسي،المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط،1995م.

8- النابلسي عبد الغني إسماعيل،الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز،تقديم أحمد عبد المجيد هروي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1986م.

9- الناصري أحمد السلاوي بن خالد،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،الجزء الأولى والتاسع، تحقيق جعفر ومحمد الناصري،ساحة المسجد المحمدي،الدار البيضاء،1418هـ /1997م.

10-الهمداني،صفة جزيرة العرب،تحقيق محمد بن عبد الله النجداوي،القاهرة،1953م.

11-الأصطرخي إبراهيم،المسالك و الممالك،تحقيق محمد جابر،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،1961م.

12- الأندلسي البكري،معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع،تحقيق مصطفى السقا،الجزء الأولى ،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1945م.

20-الورتلاني الحسن،نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار،تحقيق محمد بن شنب،مطبعة بيار قنتان،الجزائر،1908م.

13- الو رداني علي بن سالم،الرحلة الأندلسية،تحقيق عبد الجبار الشريف،الدار التونسية للنشر،الجزائر،1978م.

14- الوزان الحسن بن محمد،وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي،ومحمد الأخضر،الطبعة الثانية ،دار الغرب الإسلامي،1383هـ/1963م.

15-الولاتي محمد بن يحي المختار،الرحلة الحجازية،تحقيق محمد حجي،دار الغرب الإسلامي.

16-السنوسي محمد بن عثمان ،الرحلة الحجازية،الجزء الثالث ،الشركة التونسية للتوزيع،1981م.

17- الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1994م.

18- البردي يوسف بن ثغري،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة،دت.

19-حسين محمد الخضر، الرحلات، تحقيق علي رضا التونسي،المطبعة التعاونية دمشق،1967م.

20- ابن حوقل،صورة الأرض،دار مكتبة الحياة،بيروت.

21- ابن خرداذبه،المسالك والمماليك،مطبعة بريل،لندن،1967م.

22- ابن خلدون عبد الرحمان،المقدمة،تحقيق عبد السلام الشدادي،بيت الفنون والعلوم والآداب،الدار البيضاء،المغرب،2005م.

23-السوسي محمد المختار،المعسول،الجزء الثامن،مطبعة النجاح،الدار البيضاء،1962م.

24-العبدي محمد،الرحلة المغربية،تقديم:سعيد بوقلاقة،منشوارت بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007م.

المراجع:

1- إبراهيم أحمد الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم،الطبعة الثانية ،دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،وهران،1965م.

2- بيومي محمد علي فهيم، المغاربة في المدينة المنورة في القرن 18م،جامعة الأزهر القاهرة،2006م.

3- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة.

4-أنساعد سميرة،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة و التطور والبنية،دار الهدى،عين ميلة-الجزائر،2009م.

5- التازي عبد الهادي،رحلة الرحلات مكة المكرمة في مئة رحلة مغربية ورحلة ،الجزء الأولى،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،الرياض،2005م.

6-الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف،الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها،مكتبة دار العربية للكتاب،القاهرة،1996م.

7- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت-لبنان،1983.

8-ذنون عبد الواحد،الرحلة المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق،دار المدار الإسلامي،بيروت-لبنان،2005م.

9- سعد الله أبو القاسم،بحوث في التاريخ العربي الإسلامي،دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان،2003م.

10- سعد الله أبو القاسم، على خطى المسلمين، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009م.

11- الشامي صلاح الدين علي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، الطبعة الثانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989م.

12-الشاهدي الحسن،أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني،الجزء الأول ،منشورات عكاظ،المغرب،2002م.

13- ضيف شوقي، الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت-لبنان، 1966.

14- علي أحمد، جغرافية شبه جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، 1384هـ/1964م.

15- فهيم حسين محمود، أدب الرحلات سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

16- الكردي علي إبراهيم، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2013م.

17-المنوني محمد،ركب الحاج المغربي،معهد مولاي الحسن،تطوان-المغرب،1953.

18-المنوني محمد،المصادر العربية لتاريخ المغرب،الطبعة الأولى ،دائرة المعارف القاهرة،2007م.

19- المؤذن عبد الرحمان،البوادي المغربية قبل الاستعمار وقبائل إيناون والمخزن بين القرن16م و19م،منشورات كلية الأدب بالريادة،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، 1995م.

20- نصار حسين،أدب الرحلة،الطبعة الأولى،مكتبة الشركة العلمية للنشر لونجمان،مصر،1991م.

21- نواب عواطف محمد يوسف،الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7هـ و8هـ،الرياض،1996م.

22-نواب عواطف محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجري، دار الملك عبد العزيز، الرياض،2008م.

23-التهامي الوازني، تاريخ المغرب،الجزء الثالث ،تطوان،1940م

24-كراتشكوفسي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1987م

الدوريات:

1-جلاب حسين،أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة،مجلة دعوة الحق،العدد351،شوال ذي الحجة 1424هـ/جانفي فيفري 2001م.

2-خليل فاطمة، من ملامح الرحلة المغربية، مجلة البحث العلمي، العدد4، 1991م.

3-خليل فاضل إسماعيل، الرحلة في طلب الحديث، مجلة أدب البصرة، العدد37، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005م.

4-أبو سعيد الطالب،الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني،مجلة الوحات للبحوث والدراسات،العدد15،المركز الجامعي غرداية،2011م.

5-العتيق محمد بن عبد الله،رحلة الغيغائي والولاتي في القرن 19م،مجلة العربية، العدد486، الرياض،2015م.

6-العلي صالح،تحديد الحجاز عند المتقدمين،مجلة العرب،العدد1،الرياض،1968م.

7-الفيل محمد رشيد، أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب،مجلة البحوث الجغرافية،العدد1399،9هـ/1979م.

8-النساج سيد أحمد، أدب الرحلات في حياتنا اليومية،مجلة العربي،الكويت،1987م.

9- محمد يوسف نجم، فن المقال، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1966م.

الرسائل والمذاكرات الجامعية:

1-الحاج صدوق ،الرحلات المغاربية الى الحجاز ابان القرن 19م واثرها على البيئة الحجازية ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر 2012/2011م.

2-ليلى غويني ،التفاعل الثقافي بين دول المغرب العربي في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية ،مذكرو لنيل شهادة الماجستير تاريخ الحديث والمعاصر ، الجزائر 2012/2010م.

3-صفية بوشرف ،نسيبة مكي ،الرحلات المغاربية خلال العهد العثماني ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،المدية ،2015/2014م.

4-امحمد قرود ،الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م،من خلا ل ثلاثة نماذج (احمد المقري ،عيسى الثعالبي ،يحي النائلي)رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،2012/2009م،

المعاجم والموسوعات :

1-الأندلسي البكري،معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع،تحقيق مصطفى السقا، الجزء الأول،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1945م.

2- الحموي ياقوت، معجم البلدان، الجزء الأولى، دار صادر، بيروت، 1988م.

3-بن منظور محمد، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان 1383هـ /1968م.

4-حجي محمد،موسوعة أعلام المغرب،الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي،1996م.

5-الكعبي عبد الحكيم،موسوعة التاريخ الإسلامي عصر النبوة وما قبله،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن-عمان،2003م.

6- محمد بن سعود الحمد، موسوعة الرحلات، الطبعة الأولى، دائرة المعارف، القاهرة، 2007م

الفهرس

المحتوى	الصفحة
إهداء	
تشكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-د
الفصل الأول:الرحلة مابين توصيف المفهوم وتطور التاريخ	26-6
المبحث الأول:مفهوم الرحلة	9-6
المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن الرحلة عند العرب	16-9
المبحث الثالث:أنواع الرحلات	19-16
المبحث الرابع:أدب الرحلات	26-19
الفصل الثاني: الرحلة الحجازية المغربية في العصر الحديث	45-28
المبحث الأول:ماهية الرحلة الحجازية وأهمية منطقتها	33-28
المبحث الثاني: قيمة الرحلة الحجازية	35-33
المبحث الثالث:طرق الرحلة الحجازية المغربية	39-35
المبحث الرابع:الدوافع والأسباب الرئيسية للرحلة الحجازية المغربية	45-39
الفصل الثالث:نماذج من الرحلات الحجازية المغاربة خلال القرن 19م	47-62
المبحث الأول:رحلة الغيغائي(1274هـ/1857م)	47-50
المبحث الثاني:رحلة إدريس بن عبد الهادي العلوي(1271هـ/1891م)	51-53

المبحث الثالث:رحلة أحمد السبعي(1336هـ/1918م)	56-54
المبحث الرابع:رحلة محمد بن محمد التامراوي(1285هـ/1868م)	62-56
خاتمة	66-64
الملاحق	71-68
قائمة المصادر والمراجع	79-72